نزعة الوفاء
في شعر طاهر زمخشري من التصوير إلى الدلالة

د/ عبد الفتاح أحمد عيد

الملخص:

يعد الشاعر: طاهر بن عبد الرحمن بن محمد الزمخشري –رحمه الله– من رموز الشعر السعودي الحديث حيث كان مندمجًا في البيئة الحجازية التي جذبت العلماء والشعراء وفتحت أبوابها لكل الثقافات المختلفة، وقد أفاد الزمخشري من تلك الروافد، وتمثلها، وظهرت آثار ذلك التأثر جلية على شعره الذي اتسم بالوفاء فحزن تارة وتألم تارة، وزاوج بين التشاؤم والتفاؤل تاراتٍ أُخر.

وقد تجلت أمامي عند قرائتي لإبداعه ملامح إنسانية امتزجت فيها روح الوفاء والألم، فكان شاعر الطفولة وشاعر المرأة وشاعر المجتمع أجمع، بل وشاعر الأمة العربية، إذ يجتلب آلام الأمة العربية والإسلامية فينفث فيها شيئًا من سحر شعره فتصبح قصائد لها رونقها وجمالها الأخاذ فكانت هذه الدراسة.

ولقد تخيرت هذا الموضوع بحثًا لي؛ لما ظهر جليًا في حياة هذا الشاعر من أمارات الوفاء الذي صبغ إبداعه بالمعاناة والألم والضيق والضجر والحزن والكآبة من متغيرات الحياة ومتناقضاتها، حيث انطبع الوفاء بشكل لافت للنظر على شعره، فكان الرجل الوفي الصامد الصابر المتحمل، وهذه هي سنة الحياة شقاء الأوفياء وحزنهم وتعاستهم.

وقد اعتمدت في دراستي لهذه الظاهرة الإنسانية منهجًا وصفيًا متكاملًا قائمًا على تحليل القضية واستنتاج تداعياتها.

وقد حرصت على أن تقوم هذه الدراسة على منهج انتقائي للنماذج الشعرية الجيدة بعد قراءة كل دواوين الشاعر قراءة متأنية، حيث افتتحت البحث بمقدمة أشرت فيها إلى أهمية الموضوع والداعي لدراسته، وشرعت في موضوع البحث فبدأت بتعريف الوفاء من خلال ما ورد في مادة (وفي) في بعض معاجم اللغة العربية، وأتبعت ذلك بذكر دلائل الوفاء عند الشاعر، وأردفت الدلائل بتتبع ركائز الوفاء عنده؛ وكان ذلك عبارة ركيزتين هما: الركيزة الرومانسية، والركيزة النفسية، وانتقلت إلى اتجاهات الوفاء وصنفتها إلى اتجاهين: اتجاه ذاتي عبر روافد الجماعة والعائلة والنفس، واتجاه عصري، وشمل ذلك القضايا الإسلامية العربية، مستدلًا لكل فكرة بمنظوم من إبداع طاهر

ومسترشدًا بأقوال ودراسات السابقين من النقاد والدارسين في كل قضية ألم البحث بها، وذيلت الدراسة بخاتمة تناولت فيها موجزًا لأهم ما أضافه البحث من لبنات أدبية.

Summary of research

The poet: Taher bin Abdul Rahman bin Muhammad al-Zamakhshari - may God have mercy on him - is one of the symbols of modern Saudi poetry, as he was integrated into the Hijaz environment that attracted scholars and poets and opened its doors to all different cultures. His poetry, which was marked by loyalty, was sometimes sad and painful at other times, and it married pessimism and optimism at other times.

In my reading of his creativity, human features were manifested in which the spirit of loyalty and pain was mixed, so he was the poet of childhood, the poet of women, the poet of society as a whole, and even the poet of the Arab nation, as he brings the pain of the Arab and Islamic nation, and he addes something of the magic of his poetry, so that poems have their elegance and striking beauty.

I chose this topic for my research; When it was evident in the life of this poet of the signs of loyalty that imbued his creativity with suffering, pain, distress, boredom, sadness and depression from the variables and contradictions of life, where loyalty was strikingly imprinted on his poetry.

In my study of this human phenomenon, I adopted an integrated descriptive approach based on analyzing the issue and concluding its implications.

I was keen to make this study based on a selective approach to good poetic models after carefully reading all the poet's collections, then his evidence, and dealing with his pillars, then moved to his directions and divided them into: subjective and modern, which included Islamic and Arab modernity, I opened the research with an introduction in which I pointed out the importance of the topic and the reason for its study, and I proceeded with the subject of the research and began to define fulfillment through what was mentioned in the article (Fulfillment) in some Arabic language dictionaries, and followed that by mentioning the evidence of loyalty to the poet, and the evidence followed by tracking the pillars of loyalty with him; This was a phrase of two pillars: the romantic pillar, and the psychological pillar, and I moved to the directions of loyalty and classified it into two directions: a self-direction through the tributaries of the group, family, and self, and a modern trend, and this included Arab Islamic issues, inferring each idea with a system of creativity and guided by the sayings and studies of previous critics The study was followed by a conclusion in which it dealt with a summary of the most important literary value.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق أجمعين.

وبعد.. يعد الشاعر: طاهر بن عبد الرحمن بن محمد الزمخشري –رحمه الله– من رموز الشعر السعودي الحديث وطوال حياة هذا الشاعر ظل أنموذجًا رائعًا للصبر وتحمل نكبات الدهر وأرزائه حتى توفاه الله.

كانت البيئة الحجازية عامل جذب للعلماء والشعراء من كل صوب وحدب، وترجع قوة شاعريته إلى اندماجه فيها؛ ولذا فإن التأثر بالثقافات الوافدة قضية مرت على أكثر شعرائنا في العصر الحديث؛ وبخاصة الشعراء السعوديين وشعراء الحجاز على وجه الخصوص، ذلك البلد الذي "فتح أبوابه لكل ألوان الثقافات المختلفة وأن جيل النهضة الذي يعتبر شاعرنا طاهر زمخشري واحدًا منهم انصرفوا إلى تلك الروافد الثقافية ينهلون منها هادفين من ذلك إلى أن يلحقوا بركب التقدم الحضاري وتمشيًا مع النهضة الأدبية الحديثة التي شملت مصر والشام منذ القرن التاسع عشر الميلادي"(١)، حيث أفاد من تلك الروافد، وقرأها، وتمثلها، وظهرت آثار ذلك التأثر جلية على شعره الذي اتسم بالوفاء فحزن تارة وتألم تارة، وزاوج بين التشاؤم والتفاؤل تاراتٍ أُخر.

ولقد تخيرت هذا الموضوع بحثًا لي ؛ لما ظهر جليًا في حياة هذا الشاعر من أمارات الوفاء الذي صبغ إبداعه بالمعاناة والألم والضيق والضجر والحزن والكآبة من متغيرات الحياة ومتناقضاتها، حيث انطبع الوفاء بشكل لافت للنظر على شعره، فكان الرجل الوفي الصامد الصابر المتحمل، وهذه هي سنة الحياة شقاء الأوفياء وحزنهم وتعاستهم.

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع –أيضًا– أني لم أعثر على دراسة توقفت عند هذه الظاهرة المثالية وتناولتها بشكل مفصل، وما وقفت عليه من دراسات إنما تتناول حياة الشاعر ونتاجه الشعري بصورة شاملة، ولعل أقرب دراسة توقفت عند شاعرنا هي دراسة أجراها الدكتور عبدالله بن أحمد باقازي، بعنوان: " مظاهر في شعر طاهر زمخشري " إلا أنها لم تتحدث عن الوفاء وإنما تحدثت عنه بشكل عام ضمن الأغراض التي تجلت في شعره.

وقد تجلت أمامي عند قرائتي لإبداعه ملامح إنسانية امتزجت فيها روح الوفاء والألم، فكان شاعر الطفولة وشاعر المرأة وشاعر المجتمع أجمع، بل وشاعر الأمة العربية، إذ يجتلب آلام الأمة العربية والإسلامية فينفث فيها شيئًا من سحر شعره فتصبح قصائد لها رونقها وجمالها الأخاذ فكانت هذه الدراسة.

وقد اعتمدت في دراستي لهذه الظاهرة الإنسانية منهجًا وصفيًا متكاملًا قائمًا على تحليل القضية واستنتاج تداعياتها.

وقد حرصت على أن تقوم هذه الدراسة على منهج انتقائي للنماذج الشعرية الجيدة بعد قراءة كل دواوين الشاعر قراءة متأنية، حيث عرفت بالوفاء، ثم دلائله، وتناولت ركائزه، ثم انتقلت إلى اتجاهاته وقسمتها إلى: ذاتية وعصرية، وشملت العصرية الإسلامية والعربية.

طليعة البحث:

طاهر عبد الرحمن زمخشري شاعر وكاتب سعودي معاصر ولد في بيتهم بوقف بيت الكاظلي بحارة الفلق بمكة المكرمة في ٢٧ رجب ١٣٣٢هـ، ٢٢ – يونيو ١٩١٤م ، بدأ حياته التعليمية في "كُتَّاب النوري" للشيخ سليمان نوري ووالده الشيخ عبد المعطي إبراهيم النوري بحارة الباب، ثم التحق بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة التي أنهى تعليمه فيها عام ١٩٢٩م.

توفي في ٢ شوال ١٤٠٧هـ – ٢٩ مايو ١٩٨٧م في مدينة جدة ودفن بمسقط رأسه مكة المكرمة بمقبرة المعلاة[٢].

بدأ حياته العملية في الثامنة عشرة من عمره بالتنقل بين عدة وظائف حكومية وغير حكومية في الفترة من ١٣٤٩هـ إلى ١٣٨٩هـ[٣].

مال إلى الأدب والشعر منذ طفولته متأثراً بالشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي رئيس المحكمة الشرعية التي كان والده يعمل بها، وبالقاضي الشيخ عرابي بن محمد بن صالح سجيني الذي كان يشجعه على القراءات العامة ففتحت أمامه مجالًا أوسع للعلم والمعرفة. وظهر نبوغه الشعري في الخامسة عشرة من عمره وهو في الصف الدراسي السابع بمدرسة الفلاح[٤].

تعددت أغراضه الشعرية ما بين الدينية والوطنية والاجتماعية والرومانسية والسياسية وألف بعض المسرحيات الشعرية وترجمت بعض قصائده بواسطة منظمة اليونيسكو إلى اللغات الإنجليزية، الفرنسية، والألمانية[٥]، وأصبح شعره موضعاً لدراسات جمة، منها الأكاديمية، وغير الأكاديمية، في الجامعات السعودية، وبعض الجامعات العربية، منها جامعة الملك عبد العزيز، جامعة أم القرى، جامعة القاهرة، وجامعة الخرطوم، ومعاهد اليونيسكو، وكان من أول الدارسين لأدبه وأشعاره الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، الذي أعد رسالة الماجستير في جامعة القاهرة بعنوان «ظاهرة الهروب في أغاريد الصحراء للشاعر طاهر زمخشري» عام ١٩٦٠م ١٣٨٠هـ[٦].

ومن أعماله:

- مجموعة النيل: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م: وهي مجموعة الدواوين التي أصدرها في مصر[٧].
- مجموعة الخضراء: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: وهي مجموعة الدواوين التي أصدرها في تونس[٨]، وله أعمال أدبية أخرى.

ومن أقواله:

قال الأديب طاهر زمخشري أثناء استهلال كلمته في ليلة تكريمه في حفل جائزة الدولة التقديرية للأدب ممزوجة بأغنيته الخالدة المروتين بصوت الموسيقار طارق عبد الحكيم:

"أنا طاهر زمخشري المعروف بما قيل عني: كومة من الفحم سوداء تلبس ثياباً بيضاء، وتقول شعراً قصائده حمراء وخضراء وصفراء".

"أنا طاهر زمخشري، عشت في ظلال هذا البيت، وليد الفقر، ونشأت في أحضان البؤس، وترعرعت أسيرَ اليأس حتى أخذت طريقي بكل اعتزاز وفخر إلى النجاح في الطريق الذي سلكته، وهذا من فضل الله"[٩].

مفهوم الوفاء:

ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة (وفى) وفى بـ يفي وفاءً ووفيًا فهو وافٍ. وفَى الشخصُ نذرَه: أدّاه قال تعالى: (وإبراهيم الذي وفَّى) [النجم/ ٣٧]. وفَى الشخصُ بالوعد: حافظ عليه وعمل به، وأتمه وأنجزه. ضد غدر. وفَّى بالعَهْد: وفَّى بما التزم به من مهمَّات. وفَّى بالغرض: لبّى الحاجة.

أوفى إيفاءً، فهو وافٍ، والمفعول مُوفىً. أوفى الوعد/ أوفى بالوعد: وفَى به، أتمّه وأنجزه، قال تعالى (الذين يُوفُون بعهد الله) [الرعد/ ٢٠]. أوفى نذرَه/ أوفى بنذره: أدّاه، أبلغه، قال تعالى: (ولْيُوفُوا نُذُورَهم) [الحج/ ٢٩]. أوفى الكيل: جعله تامًا لا نقص فيه قال تعالى (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) [يوسف/ ٨٨].

وفاء: إخلاص واعتراف بالجميل، أمانة، ثبات ومحافظة على العهد؛ ضد الغدر. "هو ذو وفاءٍ لأصدقائه": أي حِفْظُ السِّرِّ –من صدق الوفاء–. ومن الأمثال في الوفاء: "وعْد بلا وفاء": أي عداوة بلا سبب مثل: "ونقضت عهدًا كيف لي بوفائه".

وَفِيّ مفرد جمعه أَوْفياءُ. مؤنثه وفيّة، وجمع المؤنث وفيّات وأوفياء: كثير الوفاء والإخلاص، من يفي بتعهُّداته ويقوم بواجبه، مخلص. "صديق وفيّ – هم أوفياء بعهودهم – وأنت وفي لا يذم وفاؤه"[١٠].

ومن تجليات الوفاء للآخر الإحساس به والامتزاج وجدانيًا معه؛ إن كان خيرًا فبشر وسعادة، وإن كان شرًا فهموم وآلام.

وتظهر ملامح الوفاء في آلام الرومانتيكيين "فلم يكن الرومانتيكي عادة بالمرح ولا بالمتفائل، وإنما كان فريسة ألم مرير بسبب الجفوة التي بينه وبين مجتمع لايقدر مافيه من نبل الإحساس"(١١).

وكما ظهرت ملامحه لدى الرومانتيكيين فقد ظهرت ملامحه – أيضًا – لدى الرومانسيين، يشير الدكتور عبدالله الحامد إلى ظاهرة الألم ونصيبها من الشعراء الرومانسيين حيث يرى أن شعر الألم يكثر عند أصحاب المذهب الرومانسي الذين بكوا وعبروا عن الحيرة النفسية والفكرية، التي تمزق أذهانهم(١٢).

دلائل الوفاء عند طاهر زمخشري:

صبغ الوفاء شعر طاهر زمخشري بصبغة الشكوى والحنين والحزن حتى اعتنق مذهب الرومانسية من مجتمعه إلى عالم الطبيعة، تشهد على ذلك قصيدة " إليك عني" التي يقول فيها:

سألت الليل وهو يمد سترًا من الحلك الموشّى بالنجوم

وفي جنحيه أفراح الندامى تناغم بالهوى عبث النسيم

فتنتشر المباهج في دجاه تُضَمِّد من جراحات الكليم(١٣)

في اتجاه الشاعر إلى الليل، وإلى سمائه وما فيها من كواكب وأقمار وفي تأمله في زينته؛ في كل ذلك تفريج لهمومه وتنفيس عن غمومه، فالشعراء الرومانسيون مثله يلجأون إلى مثل تلك الكائنات فيما يحسون، وفي غمرة تلك النزعة يتخيل الشاعر أنه ليس وحده المتجه إلى الليل وطبيعته دون سائر المكلومين، فإنه في جنح الليل يتسلل ندامي لهم أفراح تناغم الهوى وتعابث النسيم فتنتشر في ظلمائه المباهج وتضمد جراح المكلومين، فيتجه الشاعر إلى ذلك الليل ويتساءل بكل لهفة هل سيجد لديه شفاءً له كما وجد غيره، لكنه يُفَاجأ بإعرض الليل عنه ومقابلته له بوجه متجهم قائلًا له: "إليك عني"، ويالها من صورة بيانية رائعة، تلك التي جعلت من الليل إنسانًا يحكي ويتحدث، ويقبل ويرفض، ويُقبل ويُعرض.

ذاق طاهر زمخشري مرارة العيش وشظف الحياة منذ أن رأت عيناه النور حيث كانت حياته سلسلة محكمة من الأحزان والمآسي، فأول حياته كانت فقيرة فقد كان أبوه فرّاشًا في المحكمة، ثم فجعه القدر بموت زوجته وحبيبته التي كان يحبها واجتمعا لديه في سنة واحدة، حتى أصحابه

الذين كان يتوسم فيهم الأنس والأخوة خدعوه، وكادوا له، فنتج عن ذلك شعور بالحزن الشديد، ولأنه كان وفيًا بطبيعته فلم يكن يتوقع تركهم له، فجعل يرى أن مصيبته بهم لا تقل عن مصيبته بنفسه، عندئذ لملم نفسه في وحشته فارتمى في أحضان الطبيعة، يستعيض بالطبيعة المحبة الكريمة عن الإنسان الأناني الماكر، وأن الطبيعة التي أحبها ليست طبيعة الناس، بقدر ما هي طبيعة مضمرة، تشعل في ذهنه، إنها انعكاس نفسه على مظاهر الكون(١٤).

ويلجأ إلى طبيعة الغاب يلوذ بها، يهيم على وجهه بين أدغالها، يجاري وحوشها في خطوها الطليق حيث الحرية والانفكاك من جوار البشر إلى الرياض المورق الذي يسكب العطر ويزهو بالبروق، يقول متمنيًا(١٥):

ليتني أرجع للغاب فلا أجعل الشيطان في الدنيا رفيقي

فرحا أركض في أدغاله كل همي في غروب وشروق

أن أجاري الوحش في وثباته وأباريه على الخطو الطليق

ثم يصف الرياض قائلًا:

وحوالينا ربيع مورق يسكب العطر ويزهو بالبروق(١٦)

"يبدو أنه تعرض لجفوة بعض أصدقائه أو من كان يعقد عليهم بعض آماله، وتنكروا له ولم يلقوه بما يجدر أن يلقى به الصديق صديقه والأخ أخاه، ولكنه ظل مع ذلك يؤكد استمراره على الوفاء لهم رغم جحودهم، وهذه صورة من أعلى صور الكرم النفسي في العلاقات الإنسانية الراشدة"(١٧)، يقول في قصيدته "لحن"(١٨):

أريد حياته ويريد قتلي على أني النبيل بما أريد

سأمنحه الوفاء على جحود لأني بالسماح به أسود

وأكرمه وأغمره بعطفي وإن أبدى الإساءة أستزيد

وحسبي أن لي في الله عونا ولي من فيضه الهامي برود(١٩)

يتسم طاهر هنا بالروح التسامحية المسالمة مع من أساء إليه، ومع ما يلقاه من أصدقائه من جفوة وبعد وتنكر، ونجده بالمقابل يكن لهم الوفاء والحب وإن أبدوا له الإساءة فإنه يزيد لهم من كرمه ويغمرهم بعطفه، ويكفيه من ذلك أنه أرضى نفسه بما يبني له المجد الخالد التليد ؛ ولذا فإن

مفردات ذلك التسامح تفيض في أبياته (النبيل، الوفاء، السماح، أكرمه، أغمره بعطفي، الجود، ود...).

ويمكن أن نفسر النزعة الذاتية بتفسيرين "أولها: أن صاحب الإحساس يفتقده، فيصخب ويضج ويدعي في عملية إيهام السامعين بصحة ادعائه، وثانيهما: أن صاحب الإحساس ينطلق من منطلق الإحساس فعلًا. حيث شدة المعاناة والإحساس بها تنغص عليه حياته، فالتصريح أو البوح بالأحاسيس هو نوع من التنفيس عن حرارتها الداخلية اللاسعة، وإطفاء لوقدتها المحرقة"(٢٠).

والعصر مليء بالهموم ومحاط بالمنغصات، وما من أحد إلا ومسته الدنيا بأحزانها، وابتلته بمصائبها، ألم تر أن طاهرًا يقول:

كان ماكان والليالي حبالى قد رماها الأسى ببعل لئيم

كل ما أنجبته ليس سوى الآلام ألقت بنا لهول الجحيم

نارها تأكل الأضالع منا وتذيب الأكباد قبل اللحوم(٢١)

وفي وفاءٍ تام رسم الشاعر في هذه اللوحة حالة الانهزامية التي يعيشها الإنسان العربي من جراء ما ألم بأمته من هزائم وانتكاسات، ولا أدل على ذلك من صوره، فالليالي حبالى من بعل لئيم، والناتج عن هذا التزاوج آلام محرقة تذيب الأكباد قبل اللحوم ؛ حتى تحول الشخوص إلى فتات.

وتذهب النفس في قوله "كان ماكان" كل مذهب لأنه تعبير غامض ويحار الإنسان في مقصوده ويشغل عقله وذهنه بالذي كان، وكذلك التعبير بـ (كل) في قوله: "كل ما أنجبته الأيام" يكشف لنا الضبابية التي تحيط بالإنسان العربي من كل جانب، وتضيق عليه كل طريق.

وشاعرنا وفيّ صاحب قلب رقيق وإحساس متدفق فهو من أولئك الذين مستهم الحياة بضرها ومرها؛ فقد عاني من عصر شغل بالأحداث الدامية والأزمات الجسام ولذا فقد "صور بأكثر شعره الذي سجلته دواوينه في وفاءٍ خلاصة مشاعر الإنسان العربي المسلم تجاه الأحداث التاريخية التي ألمت بالوطن العربي في أرجاء مختلفة، وهزت كيان الأمة في مرحلة طويلة من مراحل التاريخ الأسود القريب التي مازال الإنسان العربي يعاني مرارتها، ويصطلي بنارها"(٢٢).

ومن ثم نراه قد شارك بإخلاص ووفاء متلازمين في أغلب المحافل العربية والإسلامية، وحازت قضية فلسطين على النصيب الأوفى يقول في قصيدة: (نداء فلسطين) (٢٣):

خرس البيان فللقذائف منطق ونثار ماصاغت نفوس تزهق

الله أكبر يالثارات الألى لثموا الرزايا وهي شر مطبق

ويؤكد الإشارة إليها قائلًا:

هذي فلسطين الأبية مرحل فسلوا العداة: أما كفاهم مالقوا؟

ثبتوا غرورا للقواصف واللظى لم يعلموا أنا بهم نترفق

زعموا النجاة، ولا نجاة لعاثر إن الدمار مصير من يتمشدق

سيرد الحديث عن قضية فلسطين لاحقًا–ضمن الاتجاه العام– ولهذا لن أسترسل فيه هنا حتى لا يؤثر الحديث عنها هنا على الحديث عنها في موضعها، ولكني أردت بيان أن الشاعر كان يتحدث عن قضية فلسطين من حيث كونها قضية وألم عصري عايش همه، فشارك كغيره من الشعراء في النضال ضد اليهود.

وتتعاقب نكبات الزمان فيشعر شاعرنا الوفيّ بالغربة فيه ؛ لذا فقد نضحت كثير من منظوماته بهذه النغمة الحزينة، ولا أدل على ذلك من عنوان ديوانه " عودة الغريب الذي نشر ضمن مجموعة النيل التي أصدرها بمصر ١٩٨٤م– ١٤٠٤هـ، " الذي ملأه بعدد من القصائد التي سماها " ألحان مغترب ".

وننتقل إلى " مجموعة الخضراء " فنجد أن هنالك قصائد تنم عن تلك الغربة العصرية التي كان يشعر بها، ولنقف عند قصيدة واحدة من ديوان "نافذة على القمر" التي عنون لها بـ"اغتراب"، يقول فيها:

ها أنا في الحياة نهب اغترابي ليس لي غير وحدتي من صحاب

وربيعي الذي طويت لياليه وأبقى الجراح في أهدابي[٢٤]

وهكذا يبدو طاهر غريبًا بنفسه الوفية فى زمن جلب له الآلام والمتاعب والمصاعب والأحزان؛ ولذا فإننا نجد أن أغلب قصائده تفوح بعبير الذكريات السالفة، وتنشر نسيم الأيام الخوالي، وتنقل إلينا تمنيه عودتها لتخلصه من هذا العصر الغريب الذي لم يجد له فيه صاحبًا.

وفي وفاءٍ تتوالى نبرات الاغتراب فتوقفنا الدواوين على قصيدة "اغتراب"، التي يقول فيها:

غربتي في الحياة ضاقت بعمري بعد أن ضاق باحتمالي صبري

تترامى بي العزائم في تيه بأقـ ـصى مداه قد لاح عمري

وعلى رفرف الصمود الأماني ورؤاها مابين طي ونشر[٢٥]

ويصور – في قصيدة "صرخة ألم" – مدى بؤس أعوامه وشقاء أيامه بسبب شدة قبضة اليأس عليها، ومعاناتها من مجالدة الآلام والصروف التي حاكها دهره، وهي من أروع قصائده تجسيدًا لهذا المعنى، فينثر دموع الوفاء قائلًا:

في قبضة اليأس أيامي وأعوامي ومن مجالدة الأيام آلامي

ومن صروف يحوك الدهر أغلبها أرسلت عبرة هذا المدمع الدامي

ومن تهاويل صاغ الوهم معظمها أرنوإلى مأمل في العيش بسام[٢٦]

لكنه يظهر تجلده على تحمل الأسى في وفاءٍ وتصبره في الأمل وعدم الشكوى إلى أحد:

فكم تجلدت لا أشكو اعتساف لمن يخادعني صفحي وإعظامي

حتى بكيت ولكن بالدموع وما كر الليالي سوى أضغاث أحلام[٢٧]

طاهر يساهر نجومه مرتقبًا فجره لأنه مستودع الآلام والأوجاع لكنه يعود إلى ليله ليبين أنه لو نجا من تسهيده فإن نور الصباح لن يكون بأفضل منه ؛ لأن صباحه سوف يطالع نفسه الوفية بويلات وآلام أخرى:

أرنو إلى النجم في صمت وفي والليل مطبق جنحيه بإظلام

فأسهر الليل لاتدنو أواخره وأرقب الفجر لايندى بأنسام

فإن نجوت من التسهيد طالعني نور الصباح بويلات وآثام[٢٨]

وهكذا رأينا أن عصر الشاعر وأيامه كانت سببًا في تكالب الآلام وتدافع الأوجاع عليه ! كما رأينا كيف كان وفيًّا مع حوادث عصره وهي التي سببت له الآلام والأحزان.

ركائز الوفاء عند طاهر:

اعتمد طاهر زمخشري في وفائه على ركيزتين أساسيتين هما: الركيزة الرومانسية، والركيزة النفسية.

الركيزة الرومانسية:

أشار طاهر في أكثر من موضع من شعره إلى التفاته إلى نفسه وتجاوبه مع أحاسيسه وانفعالاته[٢٩]، وهذا من سمات الرومانسية فالشاعر الرومانسي يعكس خصوصيته، وخواطره، وأحلامه، وأوهامه، وخيالاته المتنوعة المتعددة، ولعل أوضح مثال على اهتمام الزمخشري بنفسه وانكفائه على ذاته قوله:

فمن نفسي إلى نفسي حديث يؤكد أنني أحيا مداها

"أنانية" أعيش بها رضيا وأقصى ما أتوق له رضاها[٣٠]

وخصوصية الشاعر واضحة في الأعم من القصائد، ومن ذلك قصيدته (إلى الصخرة) التي يخاطب فيها صخور جبل قعيقعان بمكة، حيث كان يقضي به الأصايل، فعثر مرة بإحدى الصخور المتناثرة، فخاطبها قائلًا:

لا تثيري بمن أتاك الظنونا أنا ذاك الفتى الذي تعرفينا

عركته الحياة دهرا فلما صرعته انزوى يئن أنينا[٣١]

ويصف حاله باكيًا بعد هذه الأبيات:

يتلوى لأن فيه جراحا من قناة أطرافها لن تلينا

صوبت رأسها العسوف إليه فتردى الفؤاد منها طعينا

وطاهر هنا يقيم حوارًا مع الصخرة، حيث بثها آلامه وحزنه ومعاناته، كما يتصل بالذات ويلفت النظر في هذا المقام إلى الإشارة إلى الذات في بداية القصيدة ونهايتها، ففي بداية القصيدة:

لا تثيري بمن أتاك الظنونا أنا ذاك الفتى الذي تعرفينا

والقارئ لهذه المنظومة يجده يكرر الشطر الثاني في نهاية القصيدة؛ ليوحي بأن هناك صداقة ووفاء بينه وبين الصخرة منذ مدة بعيدة عبر عنها باسم الإشارة (ذا) حين مزج بين الشكوى

إلى الصخرة، و(الذات) بشكل يعكس إلى حد كبير صمود تلك (الذات) في مواجهة الآلام والصعاب[٣٢]، والذات تتجلى بكل وضوح في تكرار الشطر بما يجتمع فيه من ضمير المتكلم (أنا) و اسم الإشارة (ذاك) و(الفتى) المعرفة بـ(أل)، والاسم الموصول (الذي) وكلها عناصر المعرفة في علم النحو، وكل يشكل طاقات عاطفية قادرة على الإيحاء بالصمود والثبات رغم ما يحسه –كشاعر رومانسي – من حدة العاطفة التي يكون وقعها على مشاعره قاسيًا.

والنزعة الرومانسية لدى طاهر واضحة جلية، وليست عناوين دواوينه الكثيرة بأقل رومانسية من محتواها. وإن كان قد بدأ حياته الشعرية بنتاج اتِّباعي إلا أن طابع الإبداع غلب عليه فيما بعد، إذ أخذ الشعر ينبع من نفسه[٣٣].

ويرى الدكتور عبدالله الحامد " أن الألم طريق التشاؤم، والتشاؤم يفضي إلى التساؤل."[٣٤]، وهذا مايبدو في الأبيات التالية حيث يكثر التساؤل عندما يقترن بمفردات كالذلة والعزاء والزفرات واللواعج والمقلة الحيرى وحرق الكبد، وكلها يعبر عنها بالذات المنكسرة الذليلة في كل بيت.

وتبدو خصوصية الذات في كلمة (أنا) التي تتردد في قوله:

فأنا من يرى المذلة للحســ ــن عزاء لمن به الحب أودي

وأنا من أنا؟ سوى زفرة تلـ ــهشمت فيها اللواعج مدا

وأنا من أنا؟ سوى مقلة حيــ ــرى وقد زادها ارتقابك

فالمراوحة بين الإخبار بالأنا والاستفهام بالأنا يجعل الشاعر يحوم حائرًا في فضاء الفكر كفيل بإلصاق ظلالها العاطفية التي سكبت على رأسها رائحة البؤس والإحباط.

الركيزة النفسية:

عاش شاعرنا همومًا وآلامًا نفسية ألقت بظلالها على أشعاره، وما من ديوان من دواوينه إلا ويتسم بالوفاء الممزوج بالألم والمشروب بعطر التفاؤل وتحدي المستحيل، لذلك كان شاعرنا متفائلًا رغم المصاعب والمحن التي ألمت به منذ صباه، وحلقت عليه بعد صعود رباه.

وقد أباح طاهر بالخطوب والمحن التي مرت به في نغمة ضاحكة ساخرة منها، غير آبه بها، لذا جاءت بعض قصائده موسومة بقالب من التحدي والصبر والتجلد، ففي قصيدة (سأظل) يظهر ذلك كله:

سأظل أسخر بالخطوب وفي الحياة ومن تصاريف الزمان

وأظل أضحك للهموم، فلاأنوح ولا أضيق بما أعاني
وقد يزمجر في الضلوع، وباللظى الآلام تزأر في كياني
وفؤادي الرفاف يرقص في الحريق على تراجيع الأغاني
أستعذب الإسراء بالآمال للعلياء والتصعيد صوب النيران(٣٦)

وإذ ندقق النظر في الأبيات ندرك أن الشاعر كان يخلط بين الخوف والرجاء، وأنه كان يضحك في وجه تلك الهموم والأحزان والآلام صابرًا غير جزع، وأمله بالله يعضده دعاؤه والتضرع إليه أن يكشف عنه كل ضائقة ويزيل عنه كل مكروه، ففي قصيدته (رباه) يقول(٣٧):

رباه قد كنت لي في كل ضائقة ولا تزال مجيبا حين أبتهل
وألف معصية أغضي لها خجلا وقد تعثر بي من ذلها الوجل
لكن عفوك عنا ليس يدفعني إلا إلى حيث من رحماك أنتهل
وقد بسطت يدي أرجوك نائلة من فيضها لحياتي يبسم الأمل
وأنت أدرى بها من كل جارحة بها سألت متى أعيتني الحيل

ويرفع يده ضارعًا:

رباه هذي يدي تمتد ضارعة وبرد لطفك ري ماله مثل
فإن رحمت ففضل أنت سابغه علي بردا به مازلت أشتمل(٣٨)

وهنا تبدو عاطفة الوفاء رقراقة دفاقة، تستلهم العون والرحمة وبرد اللطف من الله —عز وجل– وأن يمن عليه الخالق الأعظم بالرحمة والغفران، وفيها – أيضًا — روح الأدب مع الله باستقبال ابتلاءاته بحسن الرضى والتسليم واليقين والثقة بالجزاء.

اتجاهات الوفاء عند طاهر:

المدقق في مضمرات النص السعودي يلحظ أن شعر كثير من السعوديين حائر بين تأثير كلاسيكية محافظة، ودعوات التجديد الرومانسية، فإذا ما أرادوا توظيف شعرهم لقضايا الإصلاح الاجتماعي، أو جعله منبرًا للإصلاح السياسي والفكري كأن يعبرون به عن تضامنهم مع الكفاح العربي الخالد ويناصرون قضايا الشعوب المستضعفة، أو يدعون للسلام، ويهتفون للحرية، اقتضى ذلك منهم جزالة في اللغة، وقوة في أسلوب التعبير تحكي طريقة الأولين. فإذا ما راموا البوح بآلامهم وخلجات قلوبهم متأثرين بدعاة التعبير عن عواطف الإنسان وعن الحياة والكون من خلال

مشاعر وقلب الشاعر –لا من خلال تفكيره وعقله– أخذوا الاتجاه الجديد وانطلقوا به مصطبغين بما للمزاج الرومانسي من مسحة حزن وتشاؤم تجلت في أشعارهم الذاتية الحائرة أمام لغز الحياة[٣٩]؛ ولذا نجد أن الوفاء لدى شاعر رومانسي كالزمخشري يلزم تقسيمه قسمين ذاتي وعصري، ويشمل العصري الإسلامي والعربي.

أولًا: الاتجاه الشخصي:

الخصوصية اتجاه عام عند الشعراء الذين يتسمون بالاعتداد بالنفس ويتخلقون بالعزيمة والصبر، غير أنها أكثر وضوحًا عند الشاعر الرومانسي. فالخصوصية، هي محور أبعاد الرومانسية، وماهيتها التي تجعل من أحاسيس الشاعر وأحلامه وآلامه وخواطره قضية قصيدته.

ويتمحور تحت الاتجاه الشخصي ثلاثة أنماط هي: الوفاء للجماعة، والوفاء للعائلة، والوفاء للنفس.

الوفاء للجماعة:

قام الزمخشري بعدة رحلات في بعض البلدان العربية، وقضى شطرًا من حياته متنقلًا في عدة بلدان، مثل: مصر وتونس ولبنان وغيرها من البلدان العربية وعاش في مصر مدة طويلة حتى أصدر مجموعته الشعرية التي سماها (مجموعة النيل)، وكذا الحال في تونس، فقد عاش بها مدة طويلة هي الأخرى وأصدر مجموعته الشعرية (المجموعة الخضراء) نسبة إلى تونس الخضراء، كما أنه عاش في لبنان، وزار المغرب مرة واحدة، وكانت فترة الاغتراب في حياة الزمخشري حارقة لوفائه المتأصل، فقد كان يعاوده الحنين للوطن والأهل، فلا يلبث أن يبث إبداعه مشاعره ليحملها بوحًا فنيًا مكثفًا يفوح وفاءً وإحساسًا صادقًا باللوعة والفراق.

يظهر طاهر في مقدمة ديوانه "عودة الغريب" وفاءه لأحبته ووقوفه صلبًا أمام الكوارث والمصائب التي لم تفل من عزمه، ولم تزعزع كيانه، يتحدث عن غربته في مصر عندما كان في رحلة علاجية: "والرواية هذه هي قصة كفاح أبيك، فقد كان شابا يحمل نفسًا طموحًا تريد أن تثبت وجودها في الحياة.... كعضو عامل في المجتمع " إلى أن قال: " ولم أكن وحدي آنذاك في مفترق الطريق أعاني ما أعاني.. بل كانت معي شريكة حياتي، ورفيقتي في الكفاح والدتك يرحمها الله.. التي كانت أقدر مني على احتمال الكارثة متى ثار إعصارها.. ولم أكن أعتز بقدرتها هذه و حدها، بل كانت فوق ذلك المشجع الذي يدفعني إلى السير كلما تعثرت بي الخطا، وهصرني الألم، وعصفت الشجون.

ويتحدث إلى ابنته (ابتسام) رفيقته في الغربة قائلًا: "في تلك الظروف السيئة التي كنا نعيشها معا شجعتني على الاغتراب وأنا خلو الوفاض، زادي الأمل، وشراعي الصبر، واعتمادي على الله الذي يكفل الرزق ويمنح السراء ويكشف الضراء، فغادرت الوطن وتركتها وفي يدها أختاك وأخوك، وأنت في أحشائها لم تصافحي النور بعد، وغبت شهورًا بلغ فيها بي اليأس منتهاه، فكتبت إليها من مصر أشرح لها فيها ما أعانيه، وأترك لها الحرية في تسمية المولود حتى وضعته وأنا لا أزال في الغربة"(٤٠).

من خلال ذلك يبدو بوضوح أن الشاعر كان شديد الصمود والتجلد، ونعلم – كذلك– أنه لم يكن وحده الذي يعاني من الغربة والظروف السيئة بل كانت رفيقة دربه زوجته التي تخطفتها يد المنون، حيث كانت نعم المشجع له على تحمل تلك الظروف والمرور في درب الاغتراب دون إحساس به، حتى يقطعا طريقه بأمان.

وفي نفس الديوان يهدي بعض قصائده إلى ابنته (ابتسام) رفيقته في الغربة، وذلك بعد عودته إلى أرض الوطن، والتي تبين حبه ووفاءه للجماعة وتكشف تبرمه من تلك الغربة، وإحساسه بها:

عدت يا مسرح أحلامي، وأطياف أماني العذاب
معزفي رغم الشقاوات التي كانت رفيقي في اغترابي
والتباريح أضاعت في لهيب الشجن الكاوي رغابي
ورمتني النوي يلهو بأيامي شتاتي واغترابي(٤١)

الاغتراب حالة تلهب قرائح الشعراء وتوقظ في أحاسيسهم دفء الشوق، والغربة تضاعف شجون الشاعر وتحمله على التعبير المتواصل والشكوى الساخنة عما يكنه من شوق وتطلع إلى بلده البعيد وبخاصة إذا كان وفيًّا، وهذا شاعرنا (طاهر زمخشري) يطل من الوراء البعيد يركض خلف الأمنيات يوشك فؤاده أن يفر من بين أضلاعه يسبقه إلى ديار الأحبة، والحنين يتقد في أعماقه، والتياعه متلفع بالشجن ولاشيء إلا الظنون واختناق الآهات المنزوية في خلايا طبعه(٤٢).

دائمًا يعيش الوفي المغترب حالة قلقة ويعاني منها، فهو في ديمومة من التأرجح بين البقاء أو الرحيل، ومن أول نظرة في عناوين بعض دواوين طاهر تتجلى لنا سمات الغربة في أوضح معانيها، ويظهر مدى تألم الشاعر وإحساسه بالغربة، من عودة الغريب إلى ألحان مغترب.

يفرط الشاعر في ذاتيته لدرجة قد تصل به إلى حد العزلة فيسهم ذلك في تغريب الذات عن المجتمع المحيط به، فتتولد لديه الرؤية التشاؤمية الحادة التي تنجم عن عدم تطابق الواقع –الحياة–

مع المفاهيم والتصورات التي يحملها ذلك الشاعر والتي قد تصطدم مع المحيطين به، وهو الذي يبدو لدى الزمخشري، فهذا النوع من الغربة هو الذي طغى على أغلب أشعاره وتردد في كثير من قصائده؛ فقد سمى أحد دواوينه بـ (عودة الغريب) – وهو الديوان السادس من مجموعة النيل – وقد صدره بقوله:" إلى رفيقتي في الاغتراب... إلى ابنتي الحبيبة ابتسام "[٤٣]؛ لأنه يرى أنه غريب في " وطنه وبين أهله " –كما يذكر –، وفي نظري أنها أشد أنواع الغربة ؛ لأنها غربة لن تنقطع، لأنها وليدة الوفاء والوفاء نزعة لا تنقطع ولا تنمحي، فالغريب الحقيقي يظل مشتاقًا إلى أهله حتى ينتهي به المقام بينهم ثم تنتهي غربته، لكن الغريب في وطنه وبين أهله غريب غربة نفسية قد تلازمه حتى يموت، وتلك هي حال الشاعر التي عبر عنها بقوله:

أطلقت غربتي حبيس شكاتي مذ توانت خطاي عن غاياتي
ما تغربت عن أناسي وأهلي بل تغربت في صميم الحياة
موطني وحدتي، وصحبي وترانيم خافقي زفراتي
وشراعي الذي يخوض الليالي نسجته الأيام من عزماتي[٤٤]

الغربة الفكرية هي سبب المعاناة التي عاشها طاهر والتي عانى منها كثير من شعراء الحجاز، حيث وجد كثير من أولئك الشعراء أن المجتمع الذي يطلع فيه صيحات الإصلاح إنما هو مجتمع هاني بجهله، راض بتقهقره.

وشاعرنا الوفي أحد الشعراء الرومانسيين الذين يشعرون بقيمتهم الفكرية كأفراد، فالشاعر حسين سرحان يقول عن نفسه:" إن الإنسان يسأم من روحه عندما يجد نفسه فردًا بكنوز نفسه بين من لا يبالي ولا يأبه بتلك الكنوز"[٤٥].

لم تكن غربة طاهر عن أهله وأناسه ووطنه فقط، لكنها كانت غربة نفسية أيضًا؛ لأنه لم يجد فيها صديقًا وفيًا ولا خلًا صفيًا يأوي إليه وقت حاجته، وهذا ما جعله وحيدًا في الجماعة، وفريدًا في المجتمع، يعيش بينهم كأنه عضو مخلوع، وجزء منزوع، تتقاذفه الأيدي فلا يدري إلى أين يدير ظهره منها، يرى أن وطنه الذي يحبه هو مصدر وحدته، وصحبته الذين يفي لهم هم سبب أحزانه وكلومه، وترانيمه زفرات حرى من الأحزان.

الوفاء للعائلة:

العائلة هي النافذة التي يتحدث من خلالها الشاعر عن متاعبه ومصائبه. وقد عانى الشاعر ظروفًا أليمة ومصائب كثيرة منها وفاة أمه، فهي أكبر حدث أثر في حياته، حيث أصيبت أمه بلوثة عقلية قبل وفاتها أدخلت (مستشفى المجاذيب) نظرا لخطورة الحالة التي تمر بها، فبات ينظر

إلى هذا المشهد بعين الحزين المتحسر، وإزاء هذا الموقف الصعب يصور الشاعر وقع الحالة عليه، ويصور واقع أمه ويرثيها من خلال ذلك بفيض من لهيب النفس وحيرة الفكر، واسمع أنينه[٤٦]:

حنانيك أمي لاعقوق و لانكر ولكنها الآلام في قبضتي سفر
قرأت به الآيات تفري حشاشتي ويعشي بها طرفي ويطوى بها
فمن مقلتي الدمع السخين على الخد يهميها فؤاد هو البحر
براكين من نار يؤججها الأسى وثورات ملتاع يدوي بها الصدر

وتأمله:

حنانيك أمي فالهموم تلاحقت ولولا البلاء المر ما حير الفكر
قساوات آلام، وشكوى متاعب وينهشني من وقعها الناب والظفر
فإن قلت: صبرا عاث بالصبر يجرعني كأسا ثمالتها الصبر
فوزعت جرحي بين قلبي ومقلتي وفاضت جروحي حين خانني

وفي الأبيات نفس وفية وعاطفة تتأجج بالألم وتحترق بالدمع السخين، حيث استهلها بالاعتذار الدافئ (حنانيك) بعدم العقوق، والمتبوع بالنداء القريب محذوف الأداة.

يتحول هذا الألم الشرس لديه إلى حيوان مفترس وطائر كاسر حين يجعل له نابًا وظفرًا ينهشه ويفري لحمه، فإن لجأ إلى الصبر نراه يجرعه مرًا وصبرًا.

ومن الآلام التي عاشها وفاة أبيه سنة (١٣٦٣هـ)[٤٧]، وذلك قبل أن يصدر ديوانه الأول بعامين، ذلك الأب الذي رأى فيه النموذج الأمثل للنقاء، وحسن السريرة، والقدوة الحسنة، ذلك الأب الزاهد بدنياه، الصامد للخطوب الذي لا يلين ولا ينثني، ذلك الأب الذي كانت الدنيا مشرقة بوجوده.

ويمهد لعبرته التي رثى بها والده بقوله: " إلى روح والدي الحنون المتوفي ليلة الأحد ١١ ربيع أول سنة ١٣٦٣هـ " ثم يأخذ في البكاء:

لم يعد قبره الفسيح ترابا بعد أن صار في ثراه وذابا
ضم جثمانه فأصبح كنزا واستحال التراب تبرا مذابا

ثم يرسل الفاجعة قائلًا:

صافح الموت باسمًا وبشوشًا ودعاه إلهه فأجابا
لقي الله لم يدنس بإثم طاهر الذيل عابدا توابا

التقى زاده، ومنه رواه عاش في برده الصلاح مهابا[٤٨]

والمدقق في أبيات القصيدتين يتبين أن رثاءه لأبيه أقل انفعالًا من بكاءه على أمه ؛ ذلك أن الشاعر قد عايش أمه وهي تصارع المرض الذي ألزمها الفراش، ثم المستشفى، واللوثة التي أصابتها كانت لها أشد الأثر في عاطفته الرقيقة التي جعلته يرى أمه كالطير الأسير الذي تتخطفه السباع من كل ناحية.

أما رفيقة دربه التي فارقت الحياة وتركت له أبناءً أربعة: ثلاثة بنات وولد واحد، فلم يزده موتها إلا حبًا ووفاءً وإخلاصًا، لقد كان فقدها أشد آلامه وأقوى مصائبه وآلامه أثرًا؛ لأنه كان يعتبرها هي كل شيء في حياته، تخفف عنه أعباء الحياة وآلامها، ونظرا لما وجد عندها من الوفاء والإخلاص فقد تعسر عليه الأمر أن يجد لها مثيلا"[٤٩].

عاشت معه زوجته حياته حلوها ومرها؛ لذا أحس بالوحدة وشعر بالوحشة بعد رحيلها، فقد بكاها في أكثر من مرثية، بل غلبه وفاؤه لها فخصص مجموعة من قصائده تحت اسم (إلى روحها) في ديوانه (أنفاس الربيع)، وقدم لها بمقدمة يقول فيها: " نعم هي زوجتي، وشريكة حياتي.. وأليفة روحي. لقد كانت تسير معي في أول الطريق، وقطعت هي الشوط فنامت في مقرها الأخير راضية مرضية.. وأما أنا فما زلت أسير.

وإنها لدموع أذرفها وسيذرفها معي كل من فقد عزيزًا عليه"[٥٠].

وفي بعض قصائده يصور تدرج المرض بها وضعف قواها، بينما هو ينظر إليها بعين العجز غير مستطيع أن يدفع عنها شيئًا، فتراه في قصيدته: "لاتخافي " يتحسر عليها عندما " قالت وهي تلفظ أنفاسًا مضطربة: إني أشعر بالموت يدب في مفاصلي"[٥١] فيبكي عليها قائلًا:

ليس لي بعدك في الدنيا بقاء فاسلمي أو تسلم الروح سواء
أنت لي بعض فوهم أنني أتخلى عنك يطويك الفناء
أنت ماأنت سوى نفسي التي بين جنبي وللنفس الفداء
أنت لي روح وإني جسد بسوى روحي أيامي هباء[٥٢]

ويبدي طاهر وفاءه وشدة حبه وتعلقه وارتباطه بها، حيث جعلها في منزلة الروح لجسده، فلا بقاء للروح دون الجسد، ولا حياة للجسد دون الروح، ويقول قبل ذلك: إنه إن لم تسلم زوجته فيفضل أن تفارق روحه جسده ليعيش معها في عالم الآخرة تؤنسه ويؤنسها، وأخيرًا يوصيها بالتجلد والهزء بالداء ؛ لأن كل داء له شفاء:

فاهزني بالداء لا تخشي ضنى كل داء سوف يتلوه شفاء[٥٣]

تلك هي إحدى زفراته التي نفثها قبل موت زوجته، لكن قصائده التي قالها في زوجته بعد فراقها أشد وفاءً وأقوى لوعة وأنكي جراحًا ؛ فبعدما تيقن من فراقها وفي ليلتها الأخيرة كانت هادئة مستغرقة في شبه غيبوبة الحالم فتهيأ الشاعر لينام ولكن لم ينم إلا بعدما قال تلك القصيدة التي عنونها بـ " غلبت على أمري ":

غلبت على أمري وأصبحت ليس سواك وحتى أنت ضمتك أكفان
وثارت شجوني دون أن ألقى آسيا وقد كنت لي الأسي وجدي وسنان
تذوبين في كفي والسن ضاحك وتهصرك الأدواء والصوت مرنان
تذوبين لا أدري وفيك ابتسامة يشع سناها وهي للموت عنوان
فأهفو إليها، والحنان يهزني وأرجع عنها والخوالج بركان

إلى أن يقول:

يقولون: ماتت. فقلت: أنا الذي أموت، وحسبي أن قلبي أسوان
يقولون لي: ذابت. فقلت: أنا أذوب، وذوب القلب نوح وأشجان
فيا لحن آلامي ؛ وياصوت أنا الصادح الشاكي لأني هيمان[٥٤]

ومع عجزه أمام مصيبته يشعر بالوحدة، فعندما لم يجد سواها يتفاجأ بأن أكفانًا ضمتها ورحلت بها إلى القبر حيث عالم الآخرة، وفي لوحة الحزن هذه دلالات واضحة على الأسى البالغ والممزوج بالوفاء العميق، ويمكن الكشف عن هذا الحزن من خلال بعض التراكيب التي تحوم حولها هالة من إيحاءات الموت ومعاني الفراق في هذا المقطع كقوله: " ضمتك أكفان، وهي للموت عنوان، تذوبين في كفي يقولون: ماتت، يقولون لي: ذابت...".

والزمخشري يرى بناته اللائي شربن الدمع من كثرة بكائهن عليها، ويتذكر زوجته فلا يزيده ذلك إلا حزنًا وأسى وألما، حينها لا يملك إلا أن يشاركهن في البكاء على مصابهن، ففي قصيدته " شاربات الدمع " –ويقصد بناته– يتكشف للقارئ مدى وفائه ومشاركته بناته اللائي أعياهن البكاء من خلال التوطئة لها بقوله: " جثون حولي يذرفن الدمع السخين على والدتهن فأذرفت من أجلهن هذه الدمعة "، ثم يقول:

يابناتي وحسبكن شقاء أنني بينكن أبكي شبابي

عجبا للزمان ينحر آما لي، ويجتث خطوه في طلابي
غره، كلما كبابي شوط أوصل السعي، ممعنا في الذهاب

إلى أن يقول:

يابناتي وحسبكن سكوتي وبي الهول ثائرا كالعباب[٥٥]

وأخيرًا، فقد فجعه الموت فجعة قاسية حينما " اختطف حبيبته، التي كان يحلم بالزواج منها، رغم أن الفوارق الاجتماعية لن تسمح بتحقيق الحلم، ثم أحب مرة أخرى وفي قلبه ذكرى زوجته المتوفاة[٥٦]، وهي إحدى مصائبه، لكنها لم تكن بأشدها.

ونلقى الشاعر يكتوي بنار العلاقات الأسرية منذ أول زواجه؛ حيث تزوج من امرأة لم يكن قد تعرف عليها وانتقلت إلى جوار ربها بعد أن تركت له أربعة أبناء، ثم تعرف على فتاة ألهبت وجدانه بالحب؛ وقبل أن يتزوجها فارقت الحياة في السنة التي ماتت فيها زوجته، ثم فقد والدته بعد أن صارعت المرض طويلًا، كل ذلك كان له أكبر الأثر في تشكيل شخصية شاعرنا البائسة المتألمة، ثم اصطباغ شعره بتلك النبرة الوفية الحزينة التي جعلت منه شاعرًا يهيم بأوجاعه، وينثرها بين روابي شعره الذي يجد منه المتنفس والسلوان.

وفاؤه لنفسه:

عنوان غريب وكان ينبغي أن أبدأ به الاتجاه الخاص؛ لكنني آثرت أن أنهي به هذا الاتجاه حتى لا يتهم شاعرنا الوفي بحب الذات.

كثيرًا ما تنتاب العاصي يقظة بعد غفلة فيرتد إلى رشده ويتذكر الوعيد المترتب على فعل المعصية، فيشعر بتقصيره في جنب الله، فيكون لزامًا عليه أن يبتهل إلى الله بالدعاء الصادق أن يمن عليه بالعفو والمغفرة، وللشاعر قصائد متناثرة في دواوينه يعترف فيها بذنبه، ويتذلل إلى الخالق أن يتجاوز عنه ويصفح، ومن ذلك قصيدته " لبيك "، وهي من عتبتها تشعرك بالتوبة، ثم قصيدته "دعاء" التي تفيض – هي الأخرى –حسرة وندامة على الخطايا التي قد يعجز عن حصرها أو تعدادها، يقول:

إلهي خطايا عدها ليس يحصر يضيق بها الإحساس مني وأزفر
إلهي خطايا كلما ثار وازع من النفس ضجت في الحنايا تزمجر
إلهي خطايا كنت في عمق لجها أجدف لا أدري المصير وأمخر

إلهي خطايا ضقت ذرعا بحملها وأنت على محو الخطيئة أقدر
إلهي خطايا لم يدم غير وخزها وقد كنت فيها سادرا أتخطر

إلى أن يعترف بذنوبه ويعلن ندمه على ذلك:

وجنت وفي الأعماق مني ندامة لمافات، لكن هل على الذنب أوجر
وما بي أيام على مذبح الهوى نحرت، ولكن ما أسر وأستر(٥٧)

إن تكرار الافتتاحية بقوله " إلهي خطايا " له دور مهم في إنتاج دلالة الندم وتأكيد الحسرة، ثم إن لها وظيفة ودورًا انفعاليين يدلان على تصاعد مجموعة من الانفعالات النفسية عند الشاعر.

قارئ الأبيات يلحظ بدقة تلك العاطفة الجياشة المعترف صاحبها بالذنب الراجي عفو الله تعالى، وما هي إلا " نفثة جياشة لاستيقاظ الشعور بالإثم حيث يلوذ الشاعر في حالة الصحوة –وفيًّا لنفسه– بالعودة تائبًا يتدفق خضوعًا ورهبة ويرجو العفو والمغفرة"(٥٨).

وهكذا تفيض قصائده الروحانية بكل معاني الإيمان الممزوج بالخضوع، وطلب الصفح من الله تعالى، وهي سمة من سمات شخصية الشاعر الرقيقة الوفية، يقول الأستاذ عبدالله الحميد: " وإن من عرف الشاعر طاهر زمخشري عرف في شخصية الرقة وحب الخير لكل الناس والتواضع في التعامل، كل ذلك يمتزج في كيان شاعر مرهف ينبض قلبه بالحب والإيمان، وفي قصائده التأملية إلى جانب القصائد الأخرى ما يوحي بذلك"(٥٩)، ولعل أبرز ما يفسر ذلك قصيدته الشهيرة التي عنون لها ب(رباه) التي يقول فيها:

رباه كفارتي عن كل معصية إني أتيت وملء النفس إيمان
أتيت أطرق بابا كل محترم أتاه يرجع عنه وهو جذلان
قد استضاف كريما لا يمن بما يعطي وفي منه للعبد رضوان(٦٠)

ثم يطلب من الله تعالى الغفران، و تكفير الذنوب والسيئات، فيقول:

فاغفر وسامح وتب واصفح ففي الإثم يصرخ والإحساس يقظان
رباه هذي يدي تمتد ضارعة ومن نداك لها صفح وغفران
فإن أخذت مسيئًا بالذي اقترفت منه اليمين، فقد أغواه شيطان(٦١)

هي أبيات تجيش جوانبها بالروح الإيمانية الصادقة وتفيض بالتوبة والعودة إلى الله تعالى، ونجد أن الشاعر لصدقه مع نفسه ووفائه لها قد كرر (رباه) في مستهل كل مقطع من القصيدة والتي أخذت عنوان القصيدة وفي ذلك اعتراف بالذنب الذي لايغفره إلا الله.

وإن كلمة (رباه) – المكررة بدلالتها الصوتية ومادتها الحرفية – تشكل عاملًا إيحائيًا متصلًا بالله تعالى.

ويضاف إلى ذلك ارتباط كلمة (رباه) في أذهان الداعين بسياقات نفسية خاصة، فالمذنبون دائمًا منكسرون متذللون خاضعون وهم في ذات الوقت محتاجون إلى كلمة ذات إيقاع خفيف مريح يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالرب وهذا ماتحمله دلالة هذه الكلمة.

يستدعي شاعرنا هذا المطلع في عدد كبير من قصائده، لما في معانيه الروحانية من اتصال وثيق بفكرة التوبة، وكونها من تجليات الندم، وفي ذلك إثارة للصراع الداخلي لدى النفس المذنبة بأن تكون دائمة الابتهال إلى الله بطلب الصفح، فقد جاء في ديوان "معازف الأشجان " قصيدة تحمل العنوان والمطلع تمامًا، يقول:

رباه كفارتي عن كل معصية إني أتيت وملء النفس إيمان

وقد قطعت خضما والعباب به كبائر وأنا في التيه سفان[٦٢]

يدرك طاهر أن نفسه تحتاج دائمًا إلى التوبة مما اقترفت من المعاصي والذنوب، فيأمرها بالتسبيح والتهليل والشكر الدائم لله تعالى علّ الله يتوب عليه، ثم يحذر نفسه من طاعة الشيطان، وهذا الألم الداخلي من تجليات وفائه لنفسه حيث ينتابه جراء تلك الذنوب، فيقول في قصيدة عنوانها (النفس المؤمنة):

إيه يانفس إلى الله أنيبي ثم توبي
وإذ وسوس شيطان بإثم لا تجيبي
واذكري الله، ففي صوتك تكفير ذنوبي
وثقي أن وراء الغيب علام الغيوب
وهو الله
سبحي الله يانفس وصلى واشكريه
وإذا عاثت بك البلوى وهاجت فاذكريه
إنه الشيطان يغويك لتشقي فاحذريه

فإذا غالك إثم جامح فاستغفريه
سبحي الله[٦٣]

ويبدو في هذا وفاءه لنفسه وحبه لها؛ فهو يردد لفظة (الذنوب والخطايا) في قصائده التي ترتبط بالتوبة والدعاء، فما من ترنيمة روحانية إلا وتجد لفظة (الذنوب) حاضرة فيها، وهذا يؤكد على قربه من الله، واحتياجه الدائم إليه وانطراحه بين يديه تائبًا منيبًا معترفًا بخطئه وذنبه ليحظى بمغفرته عز وعلا.

وفي هذا النوع من المفردات التي توحي بالندم ارتداد للطبيعة الوفية وتطهير للنفس من ألمها ووجعها اللذان ينتابان المرء عقب كل ذنب، والكلمة بتكوينها الصوتي –حيث تخرج أصواتها من طرف اللسان والشفتين – توحي بالرغبة في إخراج هذه الذنوب وطردها من أعماقه، حيث اقتربت من طرف اللسان والشفتين كحروفها تمامًا.

وكل شعر دعائي إنما هو شعر تضرعي؛ لأن الإنسان المؤمن يكون بطبيعته بواح بكاء ضارع إلى الله تعالى وبخاصة عندما تذهب السكرة وتحضر الفكرة.

ومن الباحثين من يرى أن أبيات الشاعر الدعائية تدخل في باب النزعة الصوفية، فالأستاذ عبدالله عبد الخالق مصطفى يدخل قصيدة طاهر زمخشري (الله أكبر)[٦٤] في ذلك الباب، فيقول معلقًا عليها:" وفي هذه النزعة الصوفية التي لجأ إليها شاعرنا إنما هي من دواعي الإيمان الذي يدفع الإنسان إلى الأمام وإلى الحياة بالأمل"[٦٥]، ويقول الأستاذ محمود سليمان خليل بقوله: " ولقد كانت تلك اللحظات هي التي تمر بشاعرنا من وقت لآخر، فتعتريه هزة روحية سماوية، فيختلج صدره بروح الله، فيحس أنه قريب ملتصق بالخالق، فيفيض وجدانه شعر دينيًا صوفيًا علويًا[٦٦].

ثانيًا: الاتجاه العصري:

دين الإسلام منذ مبعث المصطفى وهو محارب، فقد تكالب عليه الأعداء من كل جانب يريدون إطفاء نور الله، ولكن الله تعالى غالب على أمره ولو كره الكافرون، لذلك يجب أن نعلم أن الشعراء الأوفياء قد وقفوا في وجه كل فاجر ونازلوا كل كافر منذ أن قام الإسلام.

بعد هذه الجولة يتضح أن شاعرنا واحد من الأوفياء الذين –نحسبهم– دافعوا عن الإسلام، وتألموا لما أصابه من النكبات، وما ألم به من المصائب في شتى صورها ؛ لأنه مسلم من جهة، وشاعر يتوجب عليه أن يسل سيف شعره ليسلطه على أعداء الدين والملة من جهة أخرى؛ ليبهج المسلمين في أفراحهم ويجبر مصابهم في أتراحهم، وشاعرنا واحد من الأوفياء الذين تألموا لما

أصاب الأمة من نكبات ولهذا تبرز في شعره عدة قضايا إسلامية وعدة قضايا عربية تؤكد الوفاء الذي صبغ إبداعه.

أولًا: القضايا الإسلامية:

١- تجليات مكة المكرمة:

آثرت البداية بها؛ لأن مكة المكرمة ستظل – بمكانتها المقدسة – مهوى أفئدة الإنسانية المؤمنة به مكانًا عبقريًا معجزًا، يلهب قريحة الشعراء، بما يسمو به قصيدهم إلى المكانة التي استشرفها كتاب الله الخالد، ولما تستشرفه قرائحهم الظمأى، من سحر البيان وإن كثر، وشاعرية المبدعين وإن تجلت شعرية نصوصهم بكارة في التصوير وإن زعموا(٦٧).

يرى كل مسلم أن مكة المكرمة معظمة وكونها مهبط الوحي ومنبع الرسالات، لذا فإن زيارتها والطواف حول كعبتها من أعظم القربات التي يبتغي المسلم بها وجه الله تعالى والدار الآخرة و لذا فإن قصائد (شعر الحرم المكي) تأتي إشادة بالحرم الشريف وبالأماكن المقدسة، كما تأتي بعض قصائد هذا اللون ممزوجة بشعور الفخر والانتماء، لكون الشاعر من أبناء هذه البقاع الطاهرة التي عرفت بمهبط النور، ومنزل الوحي. وبذلك يمتزج الشعور الديني بالشعور الوطني في هذا اللون من القصائد(٦٨).

وطاهر من الشعراء الذين أكثروا من ذكر المسجد الحرام والشوق إليه وإلى الصلاة فيه، فعلى الرغم من كونه من سكان مكة المكرمة إلا أن شعوره بعظمة ذلك البيت الحرام يجعله بعيدًا عنه فيتشوق إليه: وبين يدينا قصيدة نبع فيها شعوره الإسلامي النبيل ووفائه لهذا المهوى المقدس حين يقول:

موطن الإشراق، صداح المني
يملأ الدنيا ضياء هاهنا
والقداسات السخيات الهبات
منهل يجري بفيض البركات
يعبر الأجيال من ماض لأت
بالهدى فاض نميرا من هنا

يغمر الدنيا جلالا وسنا
وهو ينساب دفوقا محسنا
ويؤكد على ذكر المكان العتيق:
من هنا الرايات سارت للجهاد
وهي بالفرقان تدعو للرشاد
حولها الأبطال من كل جواد
بالهدى، بالعدل نادوا من هنا
والصدى باق تحدى الزمنا
وتصدى كل آفاق الدنا[٦٩]

وتعبر قصائده في (أغاريد الصحراء) عن حنينه الذي كان ينتابه لأرض القداسات عندما كان في مصر أثناء رحلته العلاجية التي أمضى فيها مدة طويلة بعيدًا عن موطن القداسات ومسقط رأسه فتتشوق نفسه إلى بلده لأنها منبع النور ومهبط الوحي، فهذا شعور يخالج كل مسلم، كما أنها مسقط رأسه، فالإنسان الوفي لوطنه يحن إلى بلده وموطن صباه، فما بالك إذا كان مسقط رأسه بلد مقدس؟؟

و قصيدة (المروتين) من القصائد الكثيرة التي أنشأها في مصر تعكس مشاعره المثلى الفياضة بالوفاء التي بثها الشاعر لدياره المقدسة في البعد، حيث يعالج في مصر، ويلفت النظر في هذا المقام استهلال المقاطع الستة بلفظة (أهيم) التي تكررت ست مرات بعدد مقاطع القصيدة[٧٠]، واستهلاله كل مقطع منها بكلمة (أهيم) دلالة أكيدة على شدة الحب والوفاء، وهما – بلا شك – مظهران من مظاهر الألم واللهفة الباكية نحو الديار المقدسة والوطن والأهل، وهي ملامح تلوح في مخيلته فتنساب مشاعره الوفية فيضًا بالدموع:

أهيم وعبر المدى معبد يعلق في بابه النيرين
فإن طاف في جوفه مشهد وألقى على سجفه نظرتين
تراءى له شفق مجهد يواري سنا الفجر في بردتين
وليس له بالشجا مولد لمغترب غائر المقلتين[٧١]

وفي قصيدته (لبيك) التي قالها أثناء رحلته العلاجية للاستشفاء من الأمراض نرى مشاعره تفوح بالوفاء لوطنه، وقلبه يحترق من شدة الحنين إلى أراضي الله المقدسة، يقول:

لبيك رب العالمين

لبيك جئنا طائعين

لبيك بالدمع الهتون يفيضه وجل ورعب

فالعين ترنو للسماء ودمعها الهدار سحب

والقلب يلهج بالدعاء وقد تلجلج فيه ذنب

ويردد التلبية مكررًا:

أدعوك، يارب العباد وليس لي إلاك رب

لبيك أفواج تلاقت في حماك على نداك

من كل صوب قد أتتك وكلها ترجو رضاك

وتطوف بالبيت العتيق وأنت تشرف من علاك

لتجيب دعوة من دعاك وقد تندم إذ عصاك(٧٢)

ويلحظ شدة تعلقه بالبقاع الطاهرة، وديمومة تفكيره بالبيت الحرام والأراضي المقدسة، وهو ماجعل رجع الصدى لذلك التفكير يتردد في تكرار (لبيك) الدالة على انجذابه وتعلقه بالمكان وعلى الاستجابة الصادقة لأمر الله تعالى.

٢- أرض القدس الشريف:

والأرض التي شرفت بأولى القبلتين من القضايا الإسلامية الهامة؛ لأنها أرض القداسة والطهر والنقاء، أرض الحرم الثالث، أرض مسرى الحبيب المصطفى-صلى الله عليه وسلم-، ومامن شاعر عربي أو غير عربي إلا وكان له إسهام شعري ينعى فيه مع المسلمين فقدهم ذلك الحرم، ويشاركهم البكاء عليه.

وعند شاعرنا الوفي ترددت أصداء المشاركة الوجدانية في محيط هذه القضية عبر نماذج من شعره الذي صيغ صياغة فنية معبرة عن عظم هذا الحدث وفداحة الموقف، حيث أولى قضية أراضي القدس اهتمامه الشعري، وتعددت في شعره الموضوعات التي تمس هذه القضية ؛ كوعد بلفور، وتقسيم فلسطين، وقضية اللاجئين، ونكسة حزيران، والإشادة بالأبطال الذين شاركوا في حرب رمضان، كما اقترح للنصر وسائل عدة منها: العودة إلى الدين، والدعوة إلى ثبات المقاومين المجاهدين المرابطين على ثرى تلك الأرض المقدسة، يقول:

خرس البيان فللقذائف منطق ونثار ما صاغت نفوس تزهق

الله أكبر يالثارات الألى لثموا الرزايا وهي شر مطبق

هذي فلسطين الأبية مرحل فسلوا العداة: أما كفاهم مالقوا ؟[٧٣]

وفي وفائه لأمته يصف السلام الذي تغنى به اليهود خديعة، ويبين أنه لا سلام ولا أمان مع أولئك الخونة، وإنما فصل الخطاب يكون بالجماجم والسلاح:

جيف الطغام تعيش في أرباضنا أين النهي؟ أين الحجي

قالوا: السلام. وباليسار وعن اليمين عموا. فأين الموثق ؟[٧٤]

ولقد أبدع فى وصف أولئك اليهود ب (جيف الطغام) التي (تعيش)؛ وفي هذا دلالة على أنهم قد تمكنوا من تلك الأرض، وجعلوها لهم أرضًا واستوطنوا بها إنفاذا لوعد بلفور المشؤوم!

ولزامًا على الشاعر الوفي أن يشارك الفلسطينيين ساعة جلائهم من أرضهم التي ينظرون إليها وكأنها قطعة لحم نزعت من أجسادهم ؛ بل هي أرواحهم التي تسل من بين جوانحهم ويوصيهم بالعزم، ويوصيهم بعدم الاستسلام للموت أو الخنوع للغاصب، فيصرخ:

بالدم الصارخ الأبي النداء

آثر الزحف في الكفاح الفدائي

وبعزم تخاذل الخطب منه

حمل الموت ممعنا في العراء

زاده حقده، وفي مقلتيه

لهب راعب ندي العطاء

يترامى به الظلام ولكن

فيه عين مشبوبة بالضياء[٧٥]

قافية الهمزة المكسورة تتناغم مع النفس الحزينة المنكسرة بسبب حالة الجلاء والانكسار التي مر بها الفلسطينيون، لكن أمله بأن تعود الكرامة لهذا الشعب الأبي الفدائي الذي كابد الجلاء، جعله يتبع تلك القصيدة الهمزية المكسورة بهمزية مرفوعة في الديوان نفسه لتتوازن مع رفعة الكرامة التي تحيط بذلك الشعب الصابر على ثغور أرضه رغم الجوع والآلام ودماء الضحايا، يقول:

الجوع يصرخ، والآلام أصداء ومن دماء الضحايا الزاد والماء

وفي الكرامة من باقي العظام ومن شظاياه فوق الأرض أشلاء

أعمت وأعشت عيون كلما نظرت ترى الفظائع ترغي وهي نكراء[٧٦]

وفي وفاءٍ يتألم لمعاناة شعب فلسطين الذي لا يملك إلا الشكوى من الأوجاع ومن مناظر الأشلاء المتناثرة فوق أرضه من شظايا القنابل والسلاح، ومهما تضجر منكوب لمنظر تلك الأشلاء إلا وارتد له أشد من ذلك وأقوى؛ ولذلك نراه يبكي ويتحسر على تلك الطبيعة التي امتدت لها يد الأعداء فدمرتها،وطالتها النيران فأحرقتها، وهي بذلك تدعي نصرة المظلوم وهل الظلم إلا منها، فيبكي قائلًا:

أغصان زيتون مدت له لهبًا أطرافه في طريق العود بأساء
يخوضها أعز يمشي الفناء به وتستبد به في الناس أهواء
وتدعي نصرة المظلوم ظالمة ويستعين بها للبطش أعداء[٧٧]

ويصور الأرض الطاهرة التي دنستها يد العدو، وهي أرض الإسراء والمعراج، التي تشارك الطبيعة فيها الجنود الفدائيين في الحرب. ولننظر كيف وظف تلك الفواكه لتكون رجوما للأعداء ورصاصات تزمجر فوق رؤوسهم فيقول:

فالبرتقال رجوم في مزارعه ولن يصاب بها إلا الألداء
حتى الكروم رصاصات مزمجرة مشحوذة الزند، والمزمار فداء
تستقبل الأرض مسراه على ثقة بأنه لانتصار الحق عداء
يرمي يصيب ولم تخطئ قذائفه وكان فيها بنصر الله أضواء[٧٨]

وفي وفاءٍ لأمته العربية وفي جرأة انتقل إلى مخاطبة مجلس الأمن الذي لا يستطيع اتخاذ القرار الحاسم حيال تلك القضية العربية والإسلامية قبل ذلك، فكأن قراراته ومواثيقه ووعوده حبر على ورق سطرت على ماء لايلبث أن ينمحي من سطحه، ويعجب الشاعر لهذا المجلس، ويتهكم به في مرارة، فيقول:

يا مجلس الأمن يا من لا قرار له إلا متى انفجرت في الأرض طخياء
أين المواثيق هل أغفت مقاطعها على القراطيس أم قد خطها الماء
يا وعد.. يا عهد.. يا آمال عما أصابكم لم تسر أنباء
ضدان كانا سويا فى مؤامرة قد أنجزاها، وبعض الغنم سيناء[٧٩]

وقوله: " لاقرار له " يقصد به أن مجلس الأمن لايملك قرارا ملزمًا لإسرائيل بالخروج من أرض فلسطين، كما أنه فشل في تحقيق مطالب الشعوب المظلومة باسترداد أراضيها المغصوبة.

وأرى الدكتور بدوي طبانة يأخذ على الشاعر استخدامه كلمة (سويا) فيقول: "ولا تعجبني مجاراة الشاعر لما درج عليه الناس من استعمال (سويا) في معنى الصحبة أو المعية، فإن (السوي) في لغة العرب هو التام الكامل ولم أسمعها في معنى الصحبة أو المعية في كلام عربي صحيح يعتد به)[٨٠].

٣- خذلان الأمة العربية:

ولأن طاهر صاحب مبدأ وغاية وهدف نبيل، فقد كان جزءً فاعلًا في مجتمعه، يحب أمته ويخشى عليها من الاندحار، ويربأ بها عن الخذلان أمام الأعداء، وهذا طاهر زمخشري في ديوانه (في الخيام) يتمثل ذلك في وفاء، فقد صور في أكثر الشعر الذي سجله في هذا الديوان خلاصة مشاعر الإنسان العربي والمسلم تجاه الأحداث التاريخية التي ألمت بالوطن العربي، وزلزلت كيان الأمة في فترة تاريخية قريبة لا زال يعاني العرب مرارتها ويصطلون بنارها.

ولعلها أحر نار اكتوى بلهبها العرب والمسلمون في هذه الفترة، ولعل تاريخهم لم يشهد مثل هذه الكارثة الإنسانية منذ الحرب الصليبية.

وفي وفاءٍ عبر شاعرنا عن مشاعر الحزن التي أثارتها تلك الأحداث، وماجرت من الخزي والعار والدمار على أمته العربية المسلمة ومن ذلك قول الشاعر في إحدى قصائده في هذا الديوان:

فيا ليالي الأسى ضاق النهار بنا وقد رمانا إلى بلوائه الضجر
مما نعانيه، بل مما نكابده يرثي الزمان لنا والصخر
ونحن في تيهنا، والخطب يقذفنا إلى جحيم لظاه الغم والكدر[٨١]

ويذرف الشاعر دموع الوفاء الحارة على الأمة الإسلامية التي نشب في عضدها الخلاف واتسعت الهوة بينها وأضعفها النزاع، وهذا الوضع كان سببًا في تحطيم وحدتها وانكسار شوكتها أمام الأعداء، حتى عدت فاقدة القيمة منداسة الهيبة مع كثرة عددها:

أمة كالرغاء يلفظه البحـ ـر تباهي بكثرة الأرقام
هل تساوى مع الهزيمة مثقا لا، ومازال حقها في الرغام
المئون المليون ضاع مداها في خضم يمور بالأوهام[٨٢]

ولو دققنا النظر في ديوانه (من الخيام) لاستوقفتنا قصائد كثيرة، تدل على وفائه لأمته وشدة حبه لها ؛ ذلك لأنه جزء فاعل في كيانها، وعضو راشد في آمالها، وشاعر يتألم لألمها، فقد

استطاع أن يكشف عن العوامل الفاعلة في شخصيته وخلقه ومشاعره الموجهة إلى شاعريته وفنه. وهي خلاصة تلك المآثر العربية، وآداب الإسلام، و بيان القرآن.

٤- انتقال الملك فيصل إلى جوار ربه:

لا أحد ينكر أن الملك فيصل – رحمه الله – كان يعد من العناصر العربية الهامة التي قاومت دعوات الاشتراكية وهجمات الاستعمار وغيرهما من المحاولات التي تريد للعالم العربي والإسلامي أن يكون تبعًا وذنبًا لها، وقد رأى طاهر في مقتله – على يدي من وقف دونهم ودون ما يخططون له ويرمون إليه — خسارة فادحة للأمة العربية والإسلامية؛ لذلك فإن حديث الشاعر عن هذا الكيان العظيم داخل تحت الوفاء للأمة العربية الإسلامية؛ لأن كثيرًا من الشعراء – والزمخشري منهم – يرون في الفيصل المدافع العظيم عن الأمة الإسلامية، والحاكم الشجاع، وصاحب الكلمة المخيفة ولذا كان مقتله خسارة كبيرة مني بها العالم الإسلامي أجمع.

إن الحديث عن الملك فيصل حديث —لاشك– من وفّى عن النموذج الأسمى في العزة والكرامة والشرف الذي تبتغيه هذه الأمة وتنشده في قوادها ورموزها ؛ لقد كان مثالًا رائعًا للإسلام والعروبة، والحديث عنه يرتبط أشد الارتباط بقضايا الأمة وهمومها وآمالها وآلامها عامة؛ حتى صار أهم قائد محبوب في بلده وعالميه العربي والإسلامي، فتراه يقوم بدور بارز وحيوي في قضية فلسطين خاصة وقضية الصراع العربي الإسرائيلي عامة.

من ذلك كله يجد الشاعر أن في فقد الفيصل واستشهاده مصيبة عظيمة رزئت بها الأمة الإسلامية لكونه واحدًا من كيانها الذي انهدم، يقول في قصيدته " الشعب الفريسة ":

فيصل العرب قد أناب فآبا الذي قدر الممات كتابا
فيه الغدر لم تصبه ولكن أجل بالمنون كشر نابا
ليرينا أن الفريسة شعب قد أضاعت منه المنايا الصوابا
فأصابته لا يموت المفدى بل لأن الفداء لم يلق بابا
كلنا بالفداء نلقى المنايا وبأرواحنا نصد المصابا(٨٣)

وبما أن كل قول مقيد بسياق معين ؛ فإن كثيرًا من نصوص الزمخشري كانت تحمل إشارات جزئية تدور حول الموضوع الكلي، يخبر شاعرنا في ذات القصيدة أن الملك فيصل لم يلق منيته إلا لأنه جعل نفسه فداء لذلك الشعب المظلوم، ثم يشير إلى الدعوة التي دعا الملك بها ربه أن يرزقه الشهادة، فكانت له بإذن الله:

كتب القتل والقتال على من يسال الله دعوة فاستجابا

فأتته شهادة قربته وتداني بها لمولاه قابا
قد طوى العمر يقطع الشوط ركـ ـضًا والتقى كان مركبًا وركابًا(٨٤)

وفي وفائه المعهود يعزي نفسه، ويعزي الأمة الإسلامية عامة، ويعزي الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص، ويطمئنهم بأنه حتى وإن قبض الفيصل فإن عرينه لن يخلو من إخوانه فوراءه خالد وأشقاؤه وشعب سيواصل المسيرة ويدعو له بالرحمة والمغفرة، فيقول في قصيدة بعنوان " عرين الآساد":

إن فجعنا وإن لبسنا السوادا وافتقدنا للجرح فينا الضمادا
إن أصبنا بالرزء وهو عتبي فأسلنا من وقعه الأكبادا
وإذا السهم قد أصاب فأردى فارسا دون الحياة جهادا

ثم يقول:

قد طوى الأرض خطوه ثم أسرى فتخطى الأفلاك والأبعادا
وله راية على البدر رفت حين أن جاوز السماك مرادا(٨٥)

الملك فيصل –رحمه الله– كانت له اليد الطولى في وحدة المسلمين وترابطهم، فقد كان –دائمًا– يخطب في رؤساء الوفود في موسم الحج ويحثهم على الوحدة والاستمساك بحبل الله المتين، ولكن السهم الطائش الذي صوب نحوه أصابه فصرع رجلا دوخ الحياة في جهاده.

ثانيًا: القضايا العربية:

وهذه الأمة في منظور الشاعر مكان واحد يتوزع في عدة نواحي، منها ما يكون مرتبطًا ببداية حياته ومرتع صباه وهي السعودية، ومنها ما يتصل بسعادته وهواه وهي تونس ومصر وغيرهما، ومكان آني المشهد يتفاعل معه عندما تمر به محنة أو تمور به أزمة.

وأمام أعين الجميع تمر الأمة العربية بتحد واضح من بين كل الأمم، لكنها صامدة أمام ذلك التحدي الذي يحاول أن يفت من عضدها، و يهد من عزمها.

وما من شاعر وفي يعيش ذلك الإحساس العربي المسلم إلا ويجعل من شعره نصيبًا لحلول مشاكلها، ويردد معها آهاتها ويرجع صدى أنينها المبثوث في كل جانب من جوانب العالم العربي.

كان طاهر معروفًا على مستوى العالم العربي أجمع ؛ نظرًا لمشاركاته في هموم الأمة العربية، لتثبيت كيانها، وتعزيز سلطانها، وقد كان شعره يكشف عن رؤية شمولية تجمع بين العروبة والإسلام،

ولا شك أن قضية العروبة عند بعض الشعراء غير السعوديين كانت في بعض الأحيان تبحث على أنها قضية مستقلة، ولكن " دخل فيها عنصر جديد هو الإسلام في ظل المملكة العربية السعودية، لقد فصل (الشريف حسين) بين العروبة والإسلام، وادعى أن ثورته عربية محض، فجاء الشعراء السعوديون وصبوا (الإسلام) في العروبة، ولم يقبلوا أن تبحث الأمور بنظرة عربية مستقلة، بل إنهم رأوا أن الدعوة إلى العربية فرع من الدعوة الإسلامية، وأن الاقتصار على فكرة العروبة عصبية جاهلية نهى الشرع عنها"[٨٦]، وهذا مايبدو لنا في كثير من أشعار الزمخشري، ومن صور وفائه للأمة العربية:

(١) جامعة الأمة العربية:

اهتدى القادة العرب إلى إنشاء هذه الجامعة بعد أن كانت حلمًا يراود العرب قبل الحرب العالمية الثانية، ثم أصبحت واقعًا ملموسًا بعد انتهاء الحرب قبل أكثر من نصف قرن، وقد استبشر الناس خيرًا بإنشاء (الجامعة العربية) التي عقدت عليها الآمال –بعد الله تعالى– في وحدة الأمة، وثورتها ضد أعدائها، واسترداد ما استلب منها على يدي أعدائها من الكرامة، ومن المقدسات ؛ ولذلك ربط الشعراء بين تحقيق هذه الوحدة، وبين تحرير كل أرض محتلة، أو مغتصبة، وأنها ستكون العامل الأول في إنقاذ العرب من مستعمريهم؛ لأنها تمكن القادة العرب من تلمس نواحي القوة والضعف في هذا الكيان العربي الكبير ومن ثم الاهتداء إلى المعالجة وتعزيز القوة. وقد شارك السعوديون الأمة العربية همومها، وناصروها ضد أعدائها الذين لا يزالون يخططون لتقويض كيانها.

تغنى طاهر زمخشري مشيدًا بإنشاء هذه الجامعة، في قصيدة له بعنوان (الجامعة العربية):

عرب هاجت بهم ثاراتهم فإذا (الوحدة) للمطلب باب
قد دعوا للمجد في صيحتهم فإذا الدنيا سؤال وجواب
سائل يسأل: ماذا ياترى ؟ ومجيب: إنما العرب أهابوا
هتفوا بالحق في صرختهم والصدى وقع ورجع مستطاب[٨٧]

وفي وفاءٍ بدا طاهر فرحًا بتلك الوحدة التي تحققت على يدي الدول العربية باسم الجامعة العربية، وأن القاسم المشترك بين تلك الدول هو الانتساب إلى العربية، وكأن بينهم دمًا وقربى دعتهم إلى التمسك به فأجابوا ذاك النداء العربي.

ويشير إلى تلك الوحدة التي لم تكن لتحصل لولا الوحدة الإسلامية؛ فيقول واصفًا العرب وجامعتهم العربية:

عصبة العزم وما تنشره ليس إلا ماستتلوه الرغاب

فإذا سارت بشوط فالمدى ذروة المجد لنا فيها قباب
وإذا شادت صروح فلها لبنات المجد عزم وشباب

ويقوي تصويره بالإشارة قائلًا:

هي صوت واللظى في رجعه أنذر اللاحين بالويل فهابوا
هي في عرف المني (جامعة) وهي للصادي رواه وشراب
وكماة العرب ترعاها فإن هتف الداعي يناديها أجابوا(٨٨)

فمفردات:(عصبة العزم، لبنات المجد، كماة العرب) وغيرها من المصطلحات القديمة في سياق منظومة وحدة عربية حديثة له تأويل في هذا النمط الحاضر، وهو أن التشابهات قريبة، والطابع الغالب واحد وهو العروبة، فما كان من الكماة قديمًا هو مشاهد في قادة العرب حديثًا.

(٢) ثورة الجزائر:

تلك الثورة التي استمرت سبع سنوات ضد الغزاة الفرنسيين، وقد شغلت هذه الثورة حيزًا كبيرًا من الأدب السعودي، ومما يلفت النظر أن ما قاله السعوديون في هذه المعركة الطاحنة كان ضخمًا، وقد تعددت ألوانه ما بين قصيدة، وقصة، ومقالة، حتى ليخيل للباحث أن القضية الجزائرية سعودية بحتة، وأن الشعب السعودي هو صاحب الجرح وحامله.

وراح طاهر يرصد الأحداث ويرقب التضحيات، ويتسمع إلى التنهيدات، فيهتز طربًا حينًا ويجهش بكاءً حينًا آخر، ويعكس هذه المشاهد والمعاني، ويحملها أفانين العواطف والانفعالات، ويغرقها فخرًا أو تألما، فالجزائر في رأيه نبع بطولات، وفيض معجزات.

وفي وفاءٍ تابع شاعرنا تلك الأحداث وأحداث الفتاة المناضلة (جميلة بوحريد) على وجه التحديد، فالجزائر لازالت نبع البطولات من القديم وحتى الآن، و(جميلة بوحريد) لاتزال أغنية الزمن يتغنى الشعراء والأدباء ببطولاتها، ويشيد شاعرنا بتلك البطولات في قصيدة له بعنوان (جميلة) ويقول في مقدمتها: " نعم إنها جميلة بوحريد المجاهدة الجزائرية التي كانت أروع مثل للوطنية الصادقة، والعروبة الحقة، والفداء في سبيل التحرر من نير الاستعمار الغاشم، وقد نظمت هذه القصيدة بمناسبة يوم الجزائر لجمع التبرعات بالمملكة العربية السعودية للمجاهدين الأحرار بالجزائر:

القرون الطوال من أي عهد لم تخلد بطولة (كجميله)
خطرت عضة تميس إلى السـ جن خلاخيلها القيود الثقيله
وعلى زندها سوار حديد رق كالخز فوق كف نحيله
حسبوا أنها تحس وثاقا فإذا بالوثاق خير وسيله

للفداء المحبوب، للخلد للإيثـ ار قد مهد العذارى سبيله
بالفتاة التي بها هتف الكو ن، وقد قومت معاني الرجوله
خيرت بين موتها أو يموت الثأ ر فاختارت الردي في بطوله(٨٩)

لوحة تفوح بمزيد من الوفاء الممزوج بالحزن والحسرة على تلك الفتاة التي اقتيدت إلى السجن دون ذنب سوى أنها هتفت لتحرير بلادها من المستعمر الفرنسي بصوتها الصارخ بالإشادة ببطولتها التي غلبت بها الكثير.

تقاد المناضلة إلى السجن لا تبالي، ترى أن قيودها التي التفت حول سيقانها خلاخيل تختال بها غير آبهة بما ينتظرها من العذاب، وعلى زندها سوار الحديد تراه خز على كفها النحيلة.

فـ(جميلة بوحريد) مثال للفتاة العربية، قيودها خلاخيل ودموعها عطر، ودماؤها ورد، وأنينها أغاريد تهب الجزائر إلى الشهادة. بل هي أغنية الزمن، وحداء القوافل السائرة نحو الموت. جميلة رمز الجزائر، والشرق، ونجمة الصبح الهادية"(٩٠).

أدركت المناضلة (جميلة بو حريد) تلك الفتاة الجزائرية منذ شبابها مأساة وطنها، وتخلق الوعي لديها بضرورة المشاركة لتحرير بلادها من المستعمر الفرنسي فانضمت إلى المجاهدين، فأسرها الفرنسيون وصبوا عليها ألوان العذاب، لكنها صمدت أمامهم ولم تعترف بأسرار الجبهة على الرغم من صغر سنها، فحكم عليها بالإعدام، وظلت صامدة، فقضت ثلاث سنوات في السجن، ثم نقلت إلى فرنسا لتقضي ثلاث سنوات أخرى بين جدران الزنزانة إلى أن أطلق سراحها مع الأسرى الجزائريين في أعقاب "اتفاقية إيفيان" التي كسرت الطرق الحديدي الذي ضربته فرنسا على الجزائر منذ ١٨٣٠م، وبعد الاستقلال تولت جميلة بوحريد رئاسة اتحاد المرأة الجزائرية.

(٣) قضية تونس:

إن مجرد لمس الواقع العربي وما أصاب الأمة العربية من الهزائم والنكبات والعار والذل والتفكير في لم الشتات وجمع الفرقة؛ هو في حد ذاته وفاء قد مزج بألم يؤرق الشاعر، ويلهب عاطفته.

ننتقل إلى تونس فنجد شاعرنا الوفي يطالعنا فيها بأروع القصائد، وأحلى الترنيمات، وأعذب الأبيات، في ديوانه (مجموعة الخضراء)، وفي ذلك يقول الأستاذ محمد الصادق عبد اللطيف من تونس: " تربطني بالشاعر علاقة تعود لسنة ١٩٦٦م عندما حل بتونس ضيفًا يكتشف البلاد التونسية، فأسعدت به واكتشفت طاقته المخزونة وعيًا، ورأيت فيه تجربة ثقافية، وسرعة بديهة، وخيالًا خصبًا، وقدرة على توليد الصور الشعرية، مع ثقافة متينة وسيطرة على اللغة والقوالب والمعاني

والأفكار والصور الشعرية المتغايرة، لما نعهده في الأدب الحجازي القديم، ثم التقيته سنة ١٩٦٩م عندما حل ضيفًا على ولاية سوسة فطاف فيها، وتنعم بشواطئها وهوائها، وكون علاقات فكرية مع العديد من الأدباء يعتز الواحد لما يلقاهم في صحبة بابا طاهر"[٩١].

ويضرب شاعرنا مثلًا أروع في الوفاء حينما يمنح في ديوانه (الأفق الأخضر)، لتونس أروع العطاءات الفنية عميقة الأبعاد، ثرية المحتوى، وهي التي أحبته فأوحت إليه دواوينه الستة التي ضمنها مجموعته الخضراء، يتصدر تلك المجموعة ديوان (الأفق الأخضر) ويفتتح هذا الديوان بقصيدة رائعة عنوانها (الصباح الجديد) وقد ألقيت في قصر قرطاج أمام الرئيس التونسي (الحبيب بورقيبة) في عيد الاستقلال سنة ١٩٦٦م؛ وقد تفضل فمنح الشاعر بعد إلقائها وسام الاستقلال من الدرجة الثالثة[٩٢].

وقد نثر الشاعر في تلك القصيدة وفاءً ممزوجًا بما يعتلج في جوانحه من المعاني والمشاعر المؤلمة التي لم يستطع أن يخفيها حتى أمام السيد الرئيس (الحبيب بورقيبة) حيث يقول:

طفت بالشوق في خضم والمجاديف فرحتي ونشيدي
تسبق اللهفة الشجية إسرائي وتلهو بصيدح مفؤود
وشراعي الرفاف يعبر بالأمال دربا ممهدا بالجدود[٩٣]

إلى أن يقول:

أتنزى والنار تغمر أعماقي وشوقي يقول: هل من مزيدا
وجراح الأيام في قلبي الدامي أعاني آلامها بالصمود
كلما ضج لاعج في الحنايا أتلوى مغردا في الوقود

وهو في ذلك الموقف وفيٌّ لقضية فلسطين التي ألهبت وجدانه فيذكرها أينما حل وارتحل، كي تتجدد القضية ولاينساها من حضر المهرجان، فكأنه يذكرهم بأنهم مهما انغمسوا في اللذات وتتابعت الأيام وطال الزمان فإن في جسد أمتهم جراحًا عميقة على قائمتها فلسطين:

ففلسطين في المتاهة تفنى من حديث منمق ووعود
يأكل الجوع من كبود الأيامي ويدق الشقاء عظم الوليد[٩٤]

تتبعثر الهموم والآلام العربية من قضية إلى أخرى وإن كان الشاعر في مقام المدح والإطراء إلا أن وفاءه لأمته لا ينسيه الشعوب العربية التي تئن تحت وطأة الاحتلال والاستعمار والذل والتشريد والإجلاء.

الخاتمة

بعد هذه الجولة بين إبداع طاهر يستخلص البحث الحقائق التالية:

طاهر زمخشري يعد من الجيل الأول الذي أسس حراكًا إبداعيًا في السعودية ومنطقة الحجاز تحديدًا.

فهو أحد أبناء المملكة العربية السعودية البررة الأوفياء المخلصين الذين اصطفتهم الشعرية السعودية المعاصرة ليكونوا رسلها المبشرين بنبوءة فجرها وانبعاثة صبحها.

ينتسب الزمخشري إلى التيار الذي يقوم على جمال العبارة وجلاء الدلالة، وهو في ذلك يرفدد من بيان الأمة العربية وأبنائها الفصاح على مر العصور واختلاف الأمصار.

لم يخالط بيانه هُجْنَةٌ أو لكنة بل ظل على وفائه للنسق الأبين والنظم الأرفع.

كان وفيًا لمعجمه، وفيًا لفحوى بيانه ودلالته، وفيًا لثقافته ورموز حضارة أمته المتماهية بهويته الفكرية والنفسية وركائز كينونته، وفيًا لوطنه مادة جسمه وحاضن روحه المملكة العربية السعودية قدائة وناسًا؛ فإذا هو وليد المملكة وفتاها وكهلها وشيخها الممزوج بها شعرًا وهمًا، الساكنها وطنًا ورؤية.

لم يشأ أن يخفي ذلك الوفاء، فقد باح به صوتًا وكتابة، وصدح به شعرًا ، ليكون ترويحًا لنفسه المتألمة بسبب فقره، وموت زوجته، ومعاناته مع أربعة أولاد منها، وموت تلك الفتاة التي أحبها، واجتماع كل ذلك عليه في سنة واحدة.

حاول تبديد الألم بالأمل فظل دائم الشكوى والضجر من تلك الحياة البائسة التي جعلته كالغريق في خضم بحر هائج يلوح بيديه بغية الخروج منها ولكن ماذا سيفعل أمام نزعته الوفية؟! ليس له سوى الاستسلام إذعانًا لقضاء الله وانقيادًا لأمره.

ولوفائه المثالي لا يلبث أن يتألم من الحب والفراق والجوى، رغم تقدم سنه ودق عظمه إلا أنه لا يكاد يترك الغزل والوصف والحب والنظرة واللحظ، والأنين، وإشراق الصفحتين، ووصف الجروح الدوامي، والفتنة اليقظي، وما إلى ذلك من علامات الحسن والجمال.

الهوامش:

(١) طاهر زمخشري ، حياته وشعره، عبدالله عبدالخالق مصطفى ، مؤسسة سعيد للطباعة، (د.ط)، طنطا، ص٧٦.

(٢) طاهر زمخشري، حياته وشعره، عبد الله عبد الخالق مصطفى، مؤسسة سعيد للطباعة، طنطا، ص٧-١٣.

(٣) المصدر السابق ص١٥.

(٤) راجع:

- "برنامج شريط الذكريات: لقاء مع الأستاذ طاهر زمخشري – قناة مركز حمد الجاسر للثقافة على اليوتيوب". مركز حمد الجاسر للثقافة.
- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية] تحقق من قيمة | مسار= (مساعدة). دارة الملك عبدالعزيز. ٢٠١٤.

- مجلة فرقد – النادي الأدبي بالطائف: "وافته المنيَّة – رحمه الله – ظُهر يوم الجُمعة الثَّاني من شهر شوَّال ١٤٠٧هـ / ٢٩ مايو ١٩٨٧م، وصُلِّي عليه عقب صلاة المغرب في المسجد الحرام، ودُفِن في مقبرة المعلاة بمكَّة المُكرَّمة عن عُمر ناهز خمسةً وسبعين عاما". مجلة فرقد – النادي الأدبي بالطائف. ٢٠١٩/٠٩/٢٩.

(٥) "حفل تكريم الأديب الراحل طاهر زمخشري ١٩٨٥ م ١٤٠٥هـ". قناة الأديب طاهر عبد الرحمن زمخشري على اليوتيوب. ٢٠١٤/٠٥/٠٢.

(٦) "مجلة الفيصل: العدد ٤٠ ص ١٥٣". كتب جوجل. شوال ١٤٠٠هـ – اغسطس ١٩٨٠م.

(٧) مجموعة النيل / طاهر زمخشري – بوابة الأفق للمعلومات – مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٨) مجموعة الخضراء ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م / طاهر زمخشري – بوابة الأفق للمعلومات – مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٩) "بابا طاهر: عاشق الأطفال ومكتشف الفنانين".صحيفة الجزيرة – العدد ١٢٦٥٩. ٢٠٠٧/٠٥/٢٧.

(١٠) د. أحمد مختار عبد المجيد عمر وآخرون، عالم الكتب، ط(١) ١٤٢٩، ٢٠٠٨، ج(٣) ص٢٤٧٥.

(١١) الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص٥٠.

(١٢) راجع: في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية. د. عبد الله الحامد، دار الكتاب السعودي. الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ص٧٨.

(١٣) مجموعة النيل ، طاهر زمخشري ، مطبوعات تهامة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، جدة ص٣٨٣.

(١٤) انظر: طاهر زمخشري حياته وشعره، عبد الله عبد الخالق مصطفى، ص١١٠.

(١٥) مجموعة النيل، ص٥، ٧.

(١٦) المصدر السابق، ص٥، ٧.

(١٧) مجموعة النيل ص٧٠٥.

(١٨) شعراء من أرض عبقر ، د. محمد العيد الخطرواي. منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ص٢٥٠– ٢٥١.

(١٩) مجموعة النيل ، ص٤٨١.

(٢٠) الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر : طاهر زمخشري شاعر الوقدة ، محمود سليمان ، المجلة العربية. العدد ٥٧ السنة السادسة. شوال. أغسطس ١٩٨٢م، ص٢٤.

(٢١) مجموعة الخضراء ، مطبوعات تهامة ، مطابع سحر ، جدة (د.ت). ص٤٠٨.

(٢٢) من أعلام الشعر السعودي ، د. بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ، ص٢٣٩.

(٢٣) مجموعة النيل ، ص (٣٠٩–٣٠٨).

(٢٤) مجموعة الخضراء ، ص٨٠١.

(٢٥) المصدر السابق ، ص (٣٠٠).

(٢٦) مجموعة النيل. ص (٦٦).

(٢٧) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٢٨) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٢٩) انظر : الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري ، فاطمة مستور المسعودي ، ص٤٩–٥٠.

(٣٠) مجموعة النيل ، ص(٦٨٠).

(٣١) المصدر السابق ص٢٣٢– ٢٣٣.

(٣٢) انظر : مظاهر في شعر طاهر زمخشري ص (٤٦–٤٥).

(٣٣) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر (الاتباعية – الرومانسية. الواقعية الرمزية) تاليف : د نسيب نشاوي. مطابع الف باء دمشق ١٤٠٠هـ، ص٣٠٤.

(٣٤) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، د. عبد الله الحامد ص١٠٦.

(٣٥) مجموعة النيل، ص٣٢٣.

(٣٦) مجموعة النيل ، ص ٦٨٢.

(٣٧) المصدر السابق، ص٦٨٣.

(٣٨) مجموعة النيل ، ص٦٨٣.

(٣٩) انظر : الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري ، دراسة موضوعية فنية، فاطمة بنت مستور قنيع المسعودي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٢٤هـ، ص٤١.

(٤٠) مجموعة النيل ، ص (٦٠٥– ٦٠٦).

(٤١) المصدر السابق ، ص(٦٩٦–٦٩٥).

(٤٢) انظر : المجلة العربية. العدد (١٢) السنة الخامسة. جمادى الأولى ١٤٠٢هـ .في مقال للأستاذ : راشد عيسى .بعنوان (شفافية الحلم في ثلاث قصائد ، لثلاثة شعراء سعوديين) ص(٣٢).

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٣.

(٤٤) مجموعة النيل. ص (٦٨١).

(٤٥) صحيفة عكاظ ، مقالة بعنوان " النهج المشروح إلى السأم من الروح " ، ١٣/ ١/ ١٣٨٦هـ، وانظر :شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد بن عبدالله المحسن ، النادي الأدبي الثقافي ببريدة ، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، ص١٠٢.

(٤٦) المصدر السابق ، ص (٢٨٨).

(٤٧) انظر : المصدر السابق ، ص (٨٥).

(٤٨) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٤٩) طاهر زمخشري حياته وشعره. ص (١٦٣).

(٥٠) مجمو عة النيل ، ص (٢٧٥).

(٥١) المصدر السابق. ص (٢٧٨).

(٥٢) المصدر السابق. الصفحة نفسها.

(٥٣)المصدر السابق. الصفحة نفسها.

(٥٤) المصدر السابق ، ص (٢٨٠).

(٥٥)المصدر السابق. ص (٢٨٤).

(٥٦) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية. د. عبدالله الحامد، ص (٢٤٠).

(٥٧) مجموعة النيل، ص (١٧٩).
(٥٨) مظاهر في شعر طاهر زمخشري. د. عبدالله باقازي ، ص (٦٠).
(٥٩) شعراء من الجزيرة العربية. عبدالله بن سالم الحميد : ٢/ ١٧٥.
(٦٠) مجموعة النيل ، ص (٣٤٥).
(٦١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.
(٦٢) ديوان (معازف الأشجان) طبع في الشركة التونسية. ١٣٩٦هـ. ص (٨-٧).
(٦٣) مجموعة النيل. ص (٣٤٨).
(٦٤) انظر القصيدة في : مجموعة الخضراء ، ص (٣٤٤).
(٦٥) طاهر زمخشري حياته وشعره. ص (١٦٦).
(٦٦) المجلة العربية العدد (٧٠) ذو القعدة طاهر زمخشري في مقال للأستاذ : محمود سليمان خليل. بعنوان (طاهر زمخشري وألحان غربته) ص (٢٣).

(٦٧) انظر: شعرية المكان المقدس ، دراسات في الشعر السعودي ، د. حافظ المغربي، وزارة الثقافة و الاعلام النادي الأدبي بالرياض ،١٤٢٧هـ، ص٧.
(٦٨) انظر : أدباء سعوديون : ترجمات شاملة لسبعة و عشرين أديبا ، مصطفى إبراهيم حسين ، دار الرفاعي للنشر والطباعة و التوزيع ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ، ص(٢٤).
(٦٩) مجموعة النيل ، ص ٣٤٦- ٣٤٧.
(٧٠) انظر: مظاهر في شعر طاهر زمخشري ، د. عبدالله أحمد باقازي ، من منشورات دار الفيصل الثقافية ، مطابع الشريف ، الرياض ، ١٤٠٨هـ ، ص١٥٤.
(٧١) مجموعة النيل، ص٣٨٦.
(٧٢) مجمو مجموعة النيل. ص (٤٧٢-٤٧١).
(٧٣) مجموعة النيل ، ص (٣٠٩-٣٠٨).
(٧٤) المصدر السابق الصفحات نفسها.
(٧٥) ديوان (من الخيام). طاهر زمخشري ، مكتبة جدة ، ١٣٨٩ هـ ، ص١٥٥.
(٧٦) المصدر السابق. ص (٩٢-٩١).
(٧٧) المصدر السابق. ص (٩٣-٩٢).
(٧٨) المصدر السابق. الصفحة نفسها.
(٧٩) المصدر السابق. الصفحة نفسها.
(٨٠) من أعلام الشعر السعودي. د. بدوي طبانة ص٢٤٥.
(٨١) من أعلام الشعر السعودي. د. بدوي طبانة ص (٢٤٠-٢٣٩).

(٨٢) ديوان (من الخيام) ص (٢١).

(٨٣) مجموعة الخضراء. ص (٣٦٧-٣٦٦ - ٣٦٨).

(٨٤) المصدر السابق ، الصفحات نفسها.

(٨٥) المصدر السابق ، ص (٢٧٢-٢٧٣-٢٧١-٢٧٠).

(٨٦) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكري شيخ أمين. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة : ١٩٨٥م. ص٣٣٠- ٣٣١.

(٨٧) مجموعة النيل، ص : ٣٠١.

(٨٨) المصدر السابق. ص : ٣٠٢.

(٨٩) مجموعة النيل. ص٣٦١.

(٩٠) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. د.بكري شيخ أمين ص(٣٥٣-٣٥٢).

(٩١) المجلة العربية. العدد (١٢٠) محرم ١٤٠٨هـ في مقال بعنوان (تونس في وجدان طاهر زمخشري) لمحمد الصادق عبداللطيف. ص (٦٨).

(٩٢) انظر: المجموعة الخضراء، ص (١١).

(٩٣) المصدر السابق، ص ١٤.

(٩٤) المصدر السابق، ص١٥.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١- ديوان (معازف الأشجان) طبع في الشركة التونسية: ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.

٢- طاهر زمخشري، ديوان (حقيبة الذكريات)، طبع بمصنع الكتاب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٣٩٧ هـ.

٣- طاهر زمخشري، ديوان (من الخيام)، مكتبة جدة، ١٣٨٩ هـ.

٤- طاهر زمخشري، مجموعة النيل، مطبوعات تهامة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، جدة.

٥- مجموعة الخضراء، مطبوعات تهامة، مطابع سحر، جدة (د.ت).

ثانيًا: المراجع:

١ - أحمد بن عبدالله المحسن، شعر حسين سرحان دراسة نقدية، النادي الأدبي الثقافي ببريدة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢- د. بدوي طبانة، من أعلام الشعر السعودي، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣- د. بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة:١٩٨٥.

٤- د. حافظ المغربي، شعرية المكان المقدس، دراسات في الشعر السعودي، وزارة الثقافة والإعلام النادي الأدبي، بالرياض، ١٤٢٤هـ.

٥- د. عبد الله أحمد باقازي، مظاهر في شعر طاهر زمخشري، من منشورات دار الفيصل الثقافية، مطابع الشريف الرياض، ١٤٠٨هـ.

٦- د. عبد الله الحامد، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ. الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، دار الكتاب السعودي، الرياض.

٧ - د. عبد الله الحامد، في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية. دار الكتاب السعودي. الرياض، الطبعة الثانية.

٨- عبد الله بن سالم الحميد، شعراء من الجزيرة العربية. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٩ – عبد الله عبد الخالق مصطفى، طاهر زمخشري، حياته وشعره، مؤسسة سعيد للطباعة، (د. ط)، طنطا.

١٠– فاطمة بنت مستور قنيع المسعودي، الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري، دراسة موضوعية فنية، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٢٤هـ.

١١– د. محمد العيد الخطرواي، شعراء من أرض عبقر، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٢ – د. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

١٣– مصطفى إبراهيم حسين، أدباء سعوديون: ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديب دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤ – ابن منظور، لسان العرب، مكتبة الرشد، الرياض، دار صادر، بيروت، ١٣١٧هـ.

١٥ – د. نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر. (الاتباعية – الرومانسية – الواقعية – الرمزية) مطابع ألف باء. دمشق ١٤٠٠هـ.

١٦– المعجم الفلسفي. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ثالثًا: الصحف والدوريات:

١– راشد عيسى، "شفافية الحلم في ثلاث قصائد، لثلاثة شعراء سعوديين"، المجلة العربية، العدد (١٢) السنة الخامسة. جمادى الأولى ١٤٠٢هـ.

٢ – محمد الصادق عبداللطيف، "تونس في وجدان طاهر زمخشري"، المجلة العربية. العدد (١٢٠) محرم ١٤٠٨هـ.

٣ – محمود سليمان، "الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر: طاهر زمخشري شاعر الوقدة"، المجلة العربية. العدد ٥٧ السنة السادسة. شوال. أغسطس ١٩٨٢م.

٤– محمود سليمان خليل، "طاهر زمخشري"، المجلة العربية. العدد (٧٠) ذوالقعدة.

٥– مقالة بعنوان: "النهج المشروح إلى السأم من الروح"، صحيفة عكاظ، ١٣/ ١/ ١٣٨٦هـ.